

شعوب أوروبا

القديمة والحديثة

منشأها وتاريخها وأحوالها

أصدرته

إدارة مجلة الهلال

شعوب أوربا

القديمة والحديثة

منشأها وتاريخها وأحوالها

أصدرته

إدارة مجلة الهلال

مقدمة

لم يكن لمسائل القومية أو الجنسية في عصر من العصور ما لها من الشأن في هذا الزمن . فان حلها هو الشغل الشاغل لاساسة أوربا اليوم كما لا يخفى وقد اكدت الصحف في المدة الاخيرة من ذكر اسماء شعوب لا نعرف عنها الا القليل كالتشيك والبوليفاك واليونغوسلاف والاكرانيين والفنلنديين والليثوانيين الخ . . الخ . فحدا بنا ذلك الى نشر هذه الرسالة في « شعوب اوربا » لتبين احوالها وعلاقتها ببعضها بعض مما لا غنى عنه لكل متتبع للحوادث التاريخية الحاضرة

أولها وأولها

أوروبا أصغر القارات ما عدا القارة الأفريقية . ومساحتها لا تزيد على مساحة كندا أو البرازيل بل إن الناظر إليها على الخريطة يرتاب في كونها قارة مستقلة ويميل إلى الاعتقاد بأنها قسم متطرف من قارة آسيا . فمن الصعب تمييز الحدود الفاصلة بين القارتين إذ ليس بينهما فواصل طبيعية بل لم يكن بين سيبيريا وروسيا حدود متفق عليها رسمياً . وسيبيريا تزيد على أوروبا في المساحة نحو مليون ميل مربع . أما اسم أوروبا فقديم وقد استعمل منذ أكثر من ٢٥ قرناً . ولم يتفق علماء اللغات بعد على أصل هذا الاسم ومعناه . فربما كان مشتقاً من اسم العذراء أوروبا التي أحبها جوبيتر إله اليونانيين الأعظم . وقد يكون بمقتضى تخريج آخر مشتقاً من كلمة « أرب » التي وجدت على آثار آشورية ومعناها على ما يظن الظلمة أو الشمس الغاربة وضدها كلمة « اسو » التي وجدت على تلك الآثار نفسها ومعناها الشمس المشرقة أي آسيا . ولعل الأجدد بنا أن نعتز مع هيرودوتس المؤرخ اليوناني الشهير أنه « ما من بشر يستطيع أن يؤمل يوماً تفسير تلك الكلمة الموروثة عن الأسلاف »

قسم الشؤون الإدارية

مساحة اوربا كلها لا تعادل جزءا من اربعة عشر من مساحة اليابسة أو جزءا
من خمسين من مساحة الكرة الارضية كلها . ومع ذلك يبلغ عدد ساكنيها اكثر
من ربع البشر (نحو ٤٥٠٠٠٠٠٠٠٠ نفس) . ولا يرجع من الذهن ان الاوربيين
لم ينحصروا في قارتهم الاصلية فقد قطنوا القارة الاميركية والقارة الاوقيانية بعد
استكشافهما فضلا عن استعمارهم لمعظم افريقيا وجانب كبير من آسيا . وما برح
الاوريون منذ القدم مركز اشعاع العلوم والفنون على جميع بني البشر
فما سر هذا التفوق العجيب ؟ وما هي العوامل الخفية التي عملت على بروز
الاوريين في التحضر والترقي ؟

يتعذر القول بأن أسلاف الأوربيين الحاضرين كانوا أصحاب مواهب خاصة ميزتهم وميزت نسلهم عن بقية البشر أو أنه كان لهم استعداد للرقى فاقوا فيه سواهم من الشعوب . فلا بد لنا إذاً من نسبة تفوق الأوربيين إلى البيئة التي وجدوا فيها والاحوال التي اكتنفت نموهم . فإن القارة الأوروبية كلها واقعة في القسم الشمالي من المنطقة المعتدلة فلا برد فيها يعوق أهلها عن العمل ولا حرٌّ يثبط الهمة ويحمل العزم . ثم إن الطبيعة فيها ليست مبدرة بحيث تنغي أهلها عن الجِد والاجتهاد كما هو الحال في بعض الاقطار التي يكتفي أهلها بقدر ضئيل من العمل لينالوا قوتهم الضروري

فالأوربي مضطر بحكم الطبيعة إلى أن يعمل بجِد ليعيش . ثم إن الجو الذي يستنشقه عناصره يشدد قواه ويدفعه إلى السعي والحركة . زد على ذلك أن تتابع الفصول في أوروبا ومحيط الشتاء بعد الصيف مع ما بينهما من الفرق - كل ذلك يحمل الأوربي على التبصر في أمر معاشه والاستعداد لما يقبل عليه من الأيام القاسية من حيث المأوى والزاد والملبس

وما يقال في أوروبا يقال في الجهات المقابلة لها من القارة الأميركية - ولا سيما الولايات المتحدة وكندا - ولكنه لا ينطبق على أي جهة من الجهات الأخرى والعامل الأكبر في تعيين جو أوروبا هو تيار « الغولف ستريم » وهو أسرع وأعظم تيار في البحار كما أنه في الوقت نفسه أكثر التيارات منفعة للبشر . فإن مياهه القادمة من المناطق الحارة تسير محاذية للشاطئ الأميركي إلى جزيرة نيوفوندلند ومنها تتجه نحو أوروبا فتخفف وطأة الشتاء وتمنع تجمد البحر الشمالي وتخفف الصيادين في تلك الجهات بوارد لا يفنى من الأسماك

ثم إنه ليس في أوروبا حواجز طبيعية تحول دون نسائم البحار المنعشة فتتوغل مئات من الأميال في داخل القارة الأوروبية

ومن مميزات أوروبا عن سواها من القارات أن لحظ شواطئها طولاً كبيراً . فمع أن مساحة أميركا الجنوبية ضعفنا مساحة أوروبا ومساحة أفريقيا ثلاثة أضعافها فشواطئ أوروبا أطول من شواطئ هاتين القارتين معاً . وعلة ذلك أن خليجان أوروبا كثيرة تدخل في أراضيها فتطيل شواطئها

والبحر الأبيض المتوسط شأن عظيم في تاريخ الحضارة الأوروبية فهو سيد البحار

كلها وعلى شواطئه شيدت الانسانية هيكل رقيها منذ أقدم الأزمنة . وفي بحر ايجيه (الذي هو أحد اقسامه) تعلم الانسان الملاحة وعرف كيف يركب السفن ويستخدم الرياح

اجناس أوروبا

نبدأ درسنا لاجناس أوروبا بتقرير امرين :
اولاً - ان جميع الاوربيين من اصل واحد
ثانياً - ان منشأ اسلافهم الاول في آسيا
ولسنا ننكر ان فريقاً من العلماء يشكون في صحة هاتين القضيتين ولكن الرأي
الغالب مقرر عليهما

وليس أصعب من تقسيم البشرية الى اجناس . فشكل تقسيم من التقسيمات المعروفة قائم على أساس يختلف عن أساس التقسيم الآخر . فبعض هذه التقسيمات اعتمد على لون البشرة والبعض على لون العيون واتجاهها وغيرها على لون الشعر ونسبته واعتمدت تقسيمات أخرى على مميزات تشريحية مختلفة كشكل الانف وطول الاطراف بالنسبة الى البدن وسمك الجمجمة واتساعها (باعتبار ما تسعه من الرمل أو نحوه) ومحيطها الافقي والزاوية الوجهية - وغير ذلك من المقاييس الكثيرة على ان المساعي العديدة التي بذلها العلماء في هذا المضمار لم تسفر عن نتيجة يصح الاعتماد عليها ولعل النتيجة الاولى لاجناسهم المستفيضة عن الفوارق بين البشر كانت أنهم قرروا وحدة البشر وتشابههم في الصفات الاساسية

ومع ذلك لم يرا العلماء مندوحة عن تقسيم البشر الى اجناس وأن تكن الفروق بينها ضئيلة . ويتراوح عدد الاجناس البشرية حسب الآراء المعروفة بين ثلاثة اجناس (وفقاً للكتاب المقدس باعتبار نسل كل من أبناء نوح وهم سام وحام ويافت) و ١٦ جنساً على رأي ديمولان ، ولعل تقسيم بلومنباخ الذي يرجع الى سنة ١٧٨١ هو اثبت تلك التقسيمات كلها وأقربها الى الصواب فقد قسم الناس الى خمسة اقسام وهي :
القوقاسيون والمغوليون والاحباش والاميركيون والملقيون
ويحكي عن بلومنباخ هذا انه بينما كان محيراً في تسمية القسم الاول من البشر

أنه مجموعة من القوقاس فرآها مستجمعة للصفات المميزة لذلك القسم فسماه القوقاسي .
وليس المقصد من هذه التسمية الإشارة إلى أن الجنس القوقاسي ينتسب إلى القوقاس
أو أن له علاقة ما بتلك الجهة

وليس هذا مكان الإفاضة في مميزات كل قسم من الأقسام المتقدمة . فلترجع في
الكتب المخصصة لهذا البحث . ولا يهمنا في بحثنا هذا إلا الجنس القوقاسي
والمغولي لأن منهما نشأت الشعوب التي سكنت القارة الأوروبية . على أن سواد تلك
الشعوب من القوقاسيين كما هو معلوم

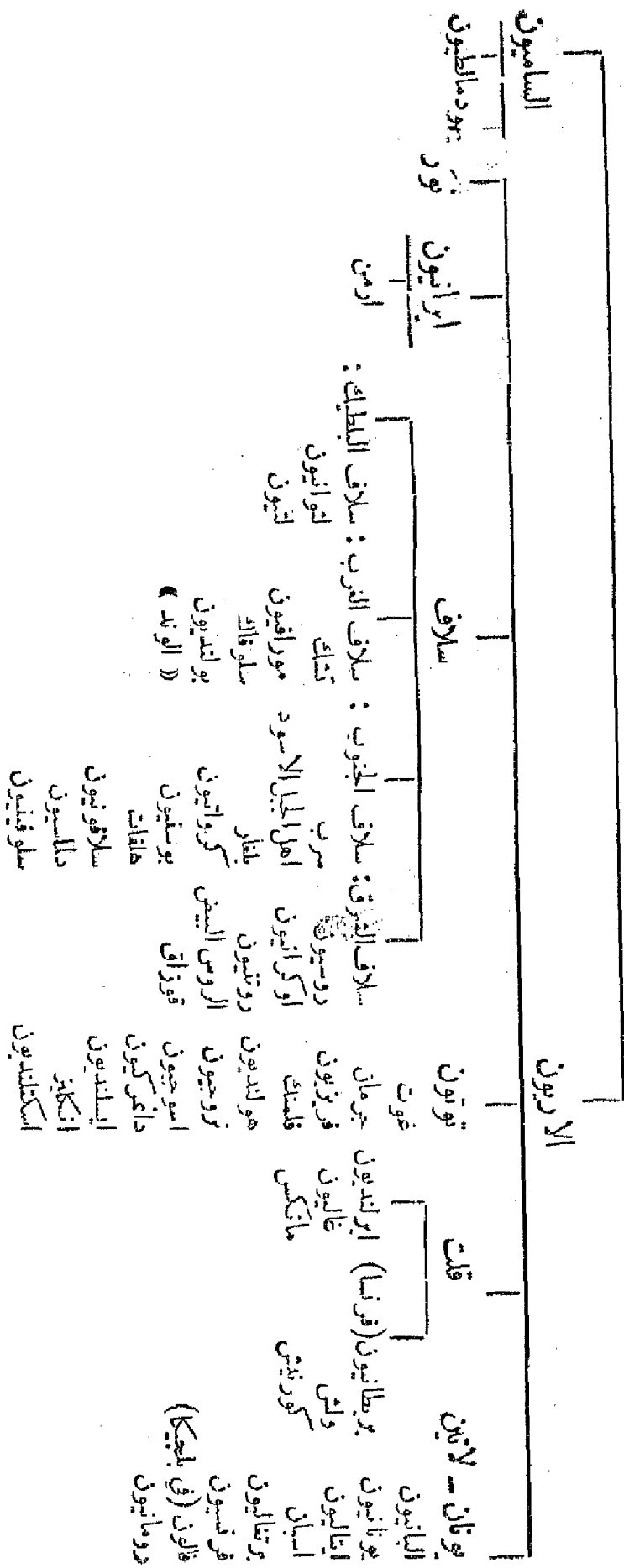
والقوقاسيون أربعة أقسام أهمها اليوم قسمان : الساميون والآريون . فالساميون
هم العرب والآشوريون والآراميون . أما الآريون فقريقتان منهم يقطن آسيا (فارس
والهند وغيرها) والفريق الآخر - وهو الأهم - يؤلف معظم الشعوب الأوروبية
الحاضرة . وهي خمس فرق كبرى : (١) اليونان (٢) اللاتين (٣) القلت
(٤) التوتون أو الجرمان (٥) السلاف . والارجح أن القلت أقدم تلك الفرق

وفي الجدول التالي بيان لتفرع الشعوب الأوروبية الحاضرة من الجنس القوقاسي .
أما الجنس المغولي فمثله في أوروبا هم : الفننديون والاستونيون والمجر والترك والتتر
وكل مطلع على التاريخ يعلم ما اعتور تاريخ أوروبا من تصادم الشعوب وتمازج
الأجناس ولا سيما على أثر سقوط المملكة الرومانية . إذ أخذ المغول بالنزوح من
آسيا إلى أوروبا . أشهرهم في ذلك العهد أتيل ورجاله الهونيون . وجاء بعدهم الأوار
والمجر والبلغار وغيرهم . ثم سيطر على أوروبا قبائل مغولية أخرى بقيادة خلفاء
جنكيز خان إلى فولغا . ثم حمل الأتراك العثمانيون على بلاد البلقان . فاوشك شرقي
أوروبا أن يصير مستعمرة مغولية لو لم تزحف عليهم قبائل السلاف من روسيا وبلاد
القوقاس وتركستان الغربية وسيبيريا

فلذلك لست تجد بين أقوام أوروبا قوماً انقياء الدم فقد اختلطت تلك الأقوام
اختلاطاً أصبح من المتعذر معه بيان منطقة كل منها ولا سيما في جهات الحدود
القومية . وهذا هو منشأ الخلاف بين شعوب أوروبا

وأنا شارعون الآن في وصف الشعوب الأوروبية المختلفة مبتدئين من الجهة
الشرقية . وأول الشعوب التي تتكلم عنها الشعوب التي تقطن البلاد الروسية

تسلسل الشعوب الأوروبية من الجنس القوقاسي

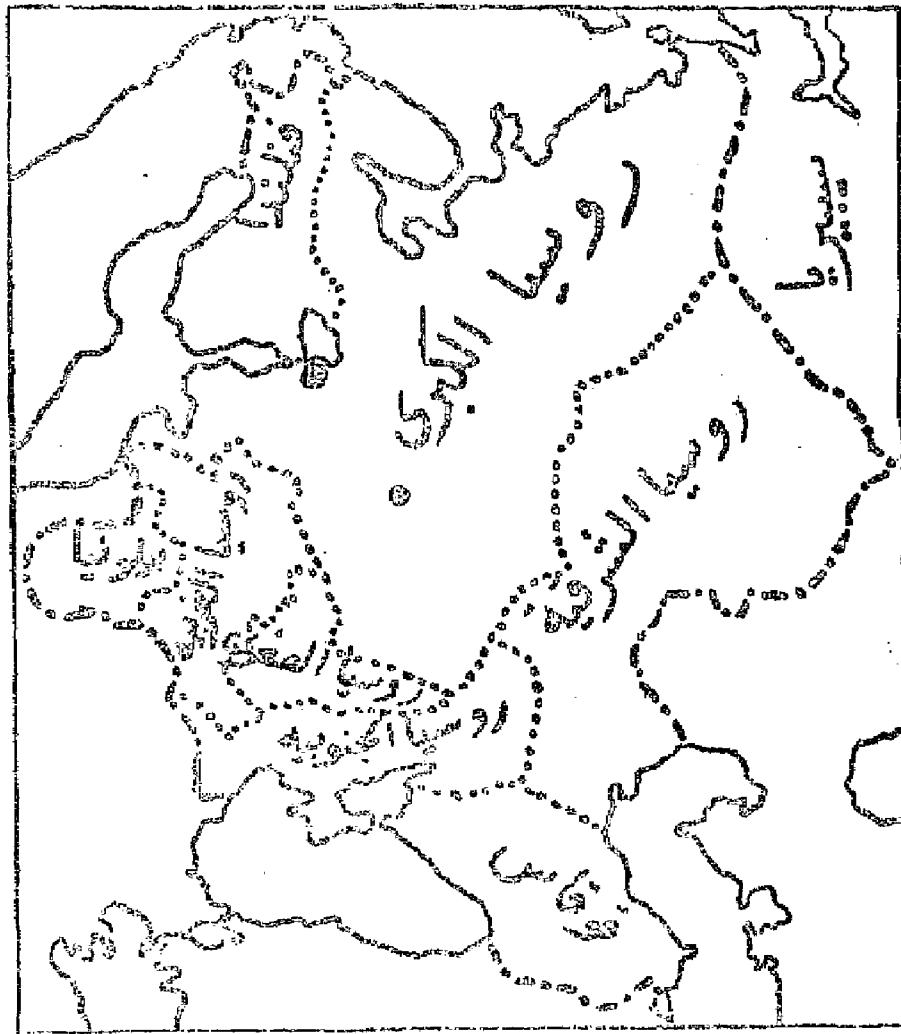




خريطة لغات أوروبا
(الخطوط المتقطعة تشير الى الحدود السياسية قبل الحرب)

سلالات البلاد الروسية

كان الروسيون امهد بطرس الاكبر خليطاً من الاجناس المختلفة . وكان هذا القيصر الحازم يرغم شعبه ارغاماً على اقتباس معالم المدن . على ان أقل نتائج سياسته هذه كان انه لما ضعفت اليد الاوتوقراطية في البلاد ولم تعد الشعوب الروسية تشعر



خريطة اقسام روسيا

بنقلها وضغطها انقرط عقد الاجناس المختلفة التي لم تكن ممترجة بعضها ببعض بل كانت مضنومة ضمناً بقوة الضغط القاهرة . وها نحن نرى الآن مشهد هذا الانقراط . والروسيون ينقسمون الى الاقسام الرئيسية التالية التي لم تعد أجزاء كل واحد :

١ - الروسيون السكار

شعوب أوروبا

٢ - الروسيون الصغار

٣ - الروسيون البيض

٤ - القوزاق

كلهم سلافيون . وكلهم يتكلمون نوعاً من اللغة السلافية . وكلهم أعضاء الكنيسة الشرقية الارثوذكسية أو مسلمانون من أعضائها . ولكن كل قسم من هذه الاقسام يختلف عن غيره شكلاً وسمناً

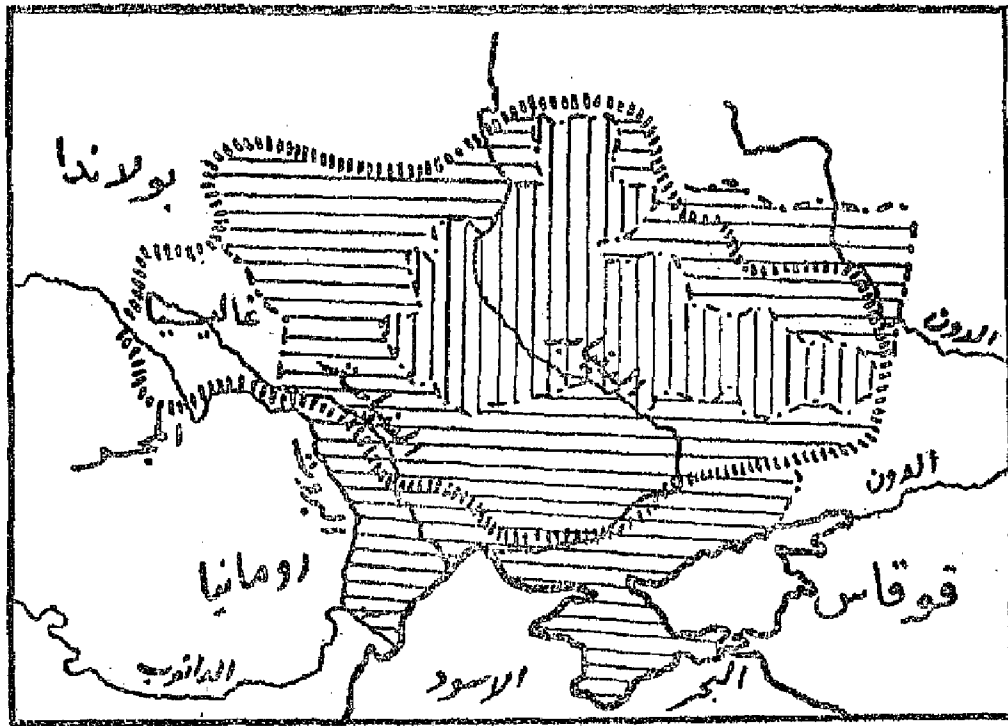
١ - الروسيون الكبار

انتشر الروسيون الكبار من موسكو التي هي مركزهم التاريخي . ولفظ موسكو في الاصل اسم النهر ثم اقتبسوه لعاصمتهم الواقعة على ضفتيه وللإمبراطورية المسكوفية ولقياصرة المسكوفيين . والروسي في الشرق يسمى موسكوفا . والعاصمة بطرسبرج أو بتروغراد (كما سميت أخيراً في مدة الحرب) كانت تعد أجنبية ولهذا لم تزل عطف الشعب وحبه . وأما موسكو فانقذت الشعب مدة قرنين من بغى التتر . وفي سنة ١٦١٣ سحقت البولنديين وأنتجت الأمة إنتاجاً جديداً . ولما احترقت التهمت إمبراطورية نبوليون . ولم تزل موسكو الام المقدسة

وأما الروسيون الآخرون فليسوا الا قبائل أخرى أضيفت للمملكة بعضها بحكم الفتح والغلبة وبعضها بالانضمام الطوعي . فالروسيون الكبار هم الروسيون الحقيقيون . ويرى بينهم بعض نماذج من الشكل القوقاسي . وهم قوم عاملون . قليلو المطامع . كثيرو الاحلام . صبورون . متعبدون . قلما يحبون المساولة . قليلو الاكتراث . لا يحسنون تطبيق العملي على النظري . ساميون . ونشيدهم الوطني هو النشيد الوحيد الذي يصلح فيه لاجل السلم . ومع ذلك متى نفخ بوق الحرب فليس أسرع منهم الى التلية . وما من جندي أشجع من الجندي الروسي

والروسيون الكبار اذا لم يكن ثمة شيء يتعبدونه أو يتعلقون به أصبحوا بلا قوة ولا عون . وقد كان عندهم قبلاً مرجعان الله والقيصر . أما القيصر فقد مضى وأصبحوا في هذا الاضطراب الحالي يرددون المثل السائر عندهم « السماء بعدت » وبانتشارهم الناجم عن خصب سلاطهم ونموها لا عن التوسع في الحرب دفعوا

الفنلانديين امامهم واحتلوا نصف السهل الروسي الى الشمال . وقواهم الطبيعية (الجسدية) والادبية تأثرت كثيراً من امتزاجهم المتواصل بالفنلانديين وتزواجهم معهم وقليلاً من امتزاجهم مع التتر . وأما أبدانهم فعضلية وحسنة النسيج وشعورهم ولحاهم كثرة وجعداء وأنوفهم بارزة وعيونهم زرقاء أو سمراء وسخنهم زهراء غراء وعدددهم يبلغ الثمانين مليوناً من سلالة واحدة وهو عدد كافٍ لتكوين مملكة



خريطة البلاد الأوكرانية

التخطيط العمودي يبين موطن الأوكرانيين الاول
والتخطيط السطحي يدل على أوكرانيا كما حددها المجلس الأوكراني
والخط الدائري يحوي الجهات التي يغلب فيها الأوكرانيون

عظمى . وبلادهم برية بحتة ما عدا الجهات المتاخمة للأوقيانوس المتجمد الشمالي . ولا منافذ لهم الى الغرب . والراجح انهم يتمنون لو ان سلسلة من الممالك الصغيرة من البحر الاسود الى خليج بوثلنيا تفصلهم عن العلائق الأوروبية

٢ - الأوكرانيون أو الروسيون الصغار

الروسيون الصغار أو الأوكرانيون يبلغون نحو ٣٠ مليوناً وبلادهم تعد في نظر الروسيين اقدس البلاد وعاصمتها كيف التي نقل اليها الملك أوليغ عرشه من

نوفغورود . وفي أوكرانيا قضت المملكة أولغا القديسة حياتها . وفيها تنصر الملك القديس فلاديمير وتنصر الشعب الروسي في خرسون . وفيها جرى أهم تاريخ الكنيسة الروسية . ومن هناك صدرت الغزوات الى المملكة البيزنطية التي ضربت عليها الجزية بعد أن علق الملك أوليغ ترس النصر على بوابة القسطنطينية الذهبية . وتقارب التتر والترك وأمتزاجهما معاً بالدم جعل الروسيين الصغار أميل الى الحرب من اخوانهم الشماليين (السكار) . وهؤلاء الأوكرانيون أنحف جسماً وأقصر قامته من أولئك . وسمرتهم تجعلهم أوضح ملامح وهم أكثر ثباتاً وجلداً ولكنهم أقل تفهماً هوائيون خياليون يحبون الموسيقى شديدو التعلق بعيالهم ووطنهم . وقد فتح البولنديون بلادهم سنة ١٣٢٠ وضموها اليهم وسموها أوكرانيا أي الحاجز ضد التتر . وفي سنة ١٦٨٦ أعيد الى روسيا القسم الواقع منها شرقي نهر دنيبر

٣ - الروسيون البيض

الروسيون البيض سموا بيضاً لشحوب وجوههم أو لمادة اكتسائهم بالأكسية البيضاء . يبلغون نحو ٥ ملايين . ويوجدون عادة في جوار اللثوانيين . وأجسامهم ليست قوية وقلماً يجهدون أنفسهم في العمل وهم بالاجمال فقراء . وليس لهم مدن حتى قلماً تجد لهم قرى وإنما يعيشون في الاحراج . ولهذا كانوا غالباً فريسة الظلم والاستبداد وهو باد في مظاهرهم وعاداتهم . ولغتهم تختلف كل الاختلاف عن لغة الروسيين الصغار

٤ - القوزاق

أوكرانيا الجنوبية ، البلاد الهمجية التي لا حدود ثابتة لها ، كانت ملجأ الألوف من العبيد والعصاة الذين فروا من تحت النير البولندي . وهناك تجمعوا جماعات متميزة . وكانت مراكزهم الرئيسية تحت شلالات الدنيبر . وكانوا يسمون كازاكي وهي لفظة تترية معناها المخاطرون الاحرار . ولما كان الاشراف البولنديون الكاثوليك يضطهدونهم كانوا يحالفون تتر القرم وأخيراً حالفوا الروسيين الذين هم مثلهم ارتوذكس شرقيون . وكانوا سادة أوكرانيا الحقيقيين حتى ردها قائدهم شمينيكي روسية كما كانت . وبعدئذ حاول قائد خائن (وهو المسمى مازيبا في قصيدة بيرون) ان

يسلمها الى تشارلس الثاني عشر ملك بولتافيا فلم ينجح
ولم يهدأ هؤلاء القوزاق جيلاً من الاجيال ولسكنهم كانوا دائماً امناً للقيصر .
فهاجروا الى القرم ومنه الى الشرق . وقد جعلوا حرساً للحدود . وهم الآن عشرة
أقوام اهمهم قوزاق الدون والاوزوري واوردنبورغ واستراخان
وقد قلّ تمردهم على القانون والنظام ولكن غريزتهم الحرية وولاءهم لم يقلّ
قط . والامبراطورية الروسية التي سقطت لم يكن لها من الجنود اشد ولاء من فرسانها
القوزاق الذين يبلغ عددهم ٣٢٠ ألفاً

وهم في زمن السلم فلاحون ورعاة ومربون للخيل وصيادون ومربون للنحل
وكرّامون . والتعليم العام عندهم ارقى من كل مكان في روسيا . اي عندهم مدارس
وطلبة اكثر من سائر اخوانهم الروسين . وهم من قبيل الصناعة والعمل والنجاح
لا يستحقون الهوان الذي ينالونه من اوروبا بالرغم من ضعة اصلهم

سلالات الايالات البلطيقية

ترى في الخريطة شرقي البلطيك بين خليج فنلندا ونهر نيمن بلاداً تبلغ
مساحتها ٥٠ ألف ميل مربع وسكانها الاصليون الاستونيون Esthonians (او
Esthers) واللتيون Letts واللثوانيون Lithuanians . وهي مستقلة استقلالاً
جغرافياً . وذات اهمية حرية لبتروغراد وداخلية روسيا لانها مسيطرة على
البلطيك الشرقي وعلى تخوم خليج فنلندا الجنوبية . وليس في شمال أوروبا بلاد
سفت فيها الدماء وجرت الحروب كهذه البلاد . وهذه الوحدة الجغرافية تطابق
الان ايالات البلطيك الشهيرة المشتملة على استونيا القديمة وليثونيا وكورلاند . وهي
كالهلال وكنصف الدائرة حول ريغا التي تعد مخفرها

والبلاد بالاجمال واطئة وكثيرة المستنقعات والبحيرات وتكسوها آجام واحراج .
وفي وسطها بطحاء مرتفعة بضع مئات من الاقدام يسميها الشعراء الوطنيون
« سويسرا ليثونيا »

ولا يزيد عدد سكانها على ٣ ١٠٠ ٠٠٠ نفس منهم نحو ١ ١٥٠ ٠٠٠ است

(استونيون) معظمهم في الشمال . و ١ ٥٠٠ ٠٠٠ لتيون ولثوانيون الى الجنوب في ليثونيا وكورلاند و ٢٠٠ ٠٠٠ جرمني و ١٠٠ ٠٠٠ يهودي . وما كان الروسيون في زمن من الازمان اكثر من ٢ بالمئة من سائر السكان

١ - الاستونيون

الاستونيون شعب فنلندي اوغرافي همجي مخاطر اربع البلطيك بقرصنته وكان دائماً في صدام مع الاسويجين والدانمركيين . واخيراً اخضعهم « اخوان السيف » والجرمان وحملوهم على اعتناق النصرانية وسحقوا روح نشاطهم فصاروا عبيداً لسادتهم والاستونيون يفوقون على الجرمان في ايلة استونيا بنسبة ٢٩ الى واحد ومع ذلك فان الجرمان يملكون تسعة اعشار الاراضي . واما في ليثونيا القديمة فان الاستونيين يبلغون نحو نصف عدد السكان تقريباً والجرمان $\frac{1}{3}$. والبلاد منقسمة الى املاك معددها نحو ١٠ آلاف فدان لا يملك الاستونيون او اللتيون شيئاً منها وانما الجرمان يملكونها كلها تقريباً . وقد بذلت الحكومة الروسية جهدها في تحسين حال الفلاحين ولكنها لم تنجح لشدة مقاومة الملاك

والاستونيون مستمسكون جداً بلغتهم الاهلية وهو كل ما ورثوه من اسلافهم . وهم يحبون الشعر والغناء . وجوههم عريضة قصيرة بلا لحى وجباههم واطئة وافواههم صغيرة وسواعدهم طويلة وسوقهم قصيرة . وبالرغم من فقرهم فان التعليم عندهم متقدم . وكلهم ما عدا ٤ بالمئة بروتستانت لوثيريون

وفي سنة ١٩١٨ نهض الاستونيون يطالبون بحق ملكيتهم لارضهم

٢ - اللتيون

اللتيون Letts قبيلة من ثلاث قبائل متمايزة كانت تقطن متجاورة في شواطئ البلطيك الشرقية . ففي الغرب قبيلة البوروسي التي اصبحت شعباً روسياً . وفي الوسط اللثوانيون الاصليون والى الشمال اللتيون . والجنسان الاخيران متشابهان كل التشابه في المظاهر الشخصية واللغة والعمل ومصاعب الحياة . ولهذا يحسبهما الاجانب جنساً واحداً . وانما تعين الفرق بينهما في عملية الاحصاء . على انهما شعبان مختلفان وان كان متعزراً حتى على الجنسين انفسهما تعين الفرق بينهما . وحتى العهد الاخير

لم يخطر لهما الا قليلاً وجود هذا الفرق التجنسي . والاحوال لم تجعل لهما شيئاً في التاريخ . وكلهم بروتستانت . وكان اول ما طبع بلغة اللتين تعاليم لوتر لان هذه اللغة لم تكتب حتى القرن السادس عشر

٣ - اللثوانيون

تعد لغة اللثوانيين في نظر علماء الاجناس والسلالات أهم لغات أوربا . فهي نسبية لفروع اللغة السلافية الغربية . وتشبه اللاتينية أكثر مما تشبهها الجرمانية وتشبه اللغة السنسكريتية كثيراً . وقد اندمج فيها شيء من نحو السلافية وأماظها ولما تحير العلماء في سر أصل اللثوانيين واللتين أطلقوا على الشعبين ولغتهما كلمة بلطو - سلاف . ولما كانوا يقطنون المستنقعات والأجام والأحراج لم تكيف صفاتهم الجنسية الا قليلاً

وقد أنشأوا في القرن الثالث عشر مملكة مستقلة ووسعوها حتى امتدت أخيراً من البلطيك الى البحر الاسود . وقد قاسوا بشديداً من مظالم « اخوان السيف » والفرسان التيوتون (الجرمان) . وكان الفرسان انيوتون ذوو مستشفى القديسة ماري في القدس و « فرسان أو اخوان السيف » قد تنظموا في أول الامر لغرض خيري في زمن الصليبيين . وبعد ذلك استوطنوا البلطيك وأصبحوا قوماً عسكريين واستعملوا السيف والنار لتنصير الاهالي المتوحشين واستعبدوهم

وبقي اللثوانيون وثنيتين حتى تزوج دوقهم جاجيلون سنة ١٣٨٦ الملكة جادفيدجا البولندية الجميلة واعتنق النصرانية على الاثر وأمر رعاياه أن يحذوا حذوه ومن ثم شاركوا البولنديين بكل تطوراتهم وأحوالهم . وكان لثوانياً القائد الذي سحق الفرسان التيوتون وهو على رأس جيش معظمه من اللثوانيين . حدث ذلك في تبرج سنة ١٤١٠

وقد ميرت عليهم احيال والفقر والشفاء نصيبهم الذي لم يتحول . ومع انهم قوم زراعي وفلاحون فمعظم الارض ملاك جرمان وبولنديين . « وقوانين الارض » الروسية التي سنت لاجل مصلحة الفلاحين لم تقدمهم أكثر مما أفادت الاستونيين

والتيين . وكثيرون من اللثوانيين هاجروا الى الولايات المتحدة حيث أثبتوا على أنفسهم أنهم عمال نشيطون بسطاء أمناء . وهم بروتستانت لوثيريون ما عدا قليلين منهم وفي الحرب الاخيرة حاربوا في الصفوف الروسية كاشجع الجنود الاشداء . ونحو نصف اللثوانيين (الذين يعدون ٣ ملايين) يعيشون خارج حدود الايلات البلطيقية السابقة

اللثوانيون والتيون أخذوا يشعرون الآن بنعرة الوطنية أو الجنسية . وهم يتبنون أن يقفوا أمام العالم وقفة الامم المستقلة . ولا يعلم حق الآن ان كان ما فعلوه لاجل هذه الغاية محصور بملاك الاراضي الاجانب الذين تزداد صولتهم ورفقتهم به أو ان سائر الشعب مشارك لهم فيه . واذا لم تتغير نظمات الاراضي تغيراً جوهرياً خالة الحكومة السياسية مهما تنمحت فلا تفيد اللثوانيين ولا الاستونيين ولا اللتيين

الفينو - اوجريان

كان الفينو - اوجريان (وهم من الجنس المغولي) يشغلون النصف الشمالي من السهل الروسي . على ان القبائل السلافية الوافدة من الجنوب زجت نفسها بينهم كالاسفين دافعة بعضهم الى الشرق والسواد الاعظم منهم الى الشمال الغربي نحو خليج بوثنيا ولذلك قلَّ عديدهم تدريجاً لان دغامهم بالسلاف

ويوجد في الشرق شتات من قرى يقطنها اقوام مختلفة من الفينو اوجريان وفي الغرب تجدد الاستونيين في استونيا واقواماً اخرى مغولية الاصل حول نوجوورود وشمالى بتروغراد وجنوبها . وهؤلاء كلهم ذوو أهمية تاريخية

١ - الفنيون أو الفنلانديون

أهم اقوام الفينو - اوجريان واكثرهم تمدناً (اذا لم نحسب الجر منهم) هم الذين يدعون انفسهم سومي ولكن أوروبا تميزهم لاهميتهم باعطائهم اسم جنسيتهم العام وهو الفنيون Finns . وليس لغيرهم من سلالتهم شأن سياسي ما عدا الجر

مساحة بلادهم فنلندا ١٢٥ ٤٨٩ ميلاً مربعاً واقعة بين خليجي فنلندا وبوثنيا . فتحت في القرن الثاني عشر ونصّر معظمها المطران هنري الذي يُظن أنه انكليزي ثم قتل وبعد ذلك اعتبر قديساً واصبح شفيع فنلندا . ولم تحصل فنلندا على استقلالها

حتى العام الأخير . وكانت اسوج وروسيا تتنازعانها على الدوام الى ان اصبحت هي وجزر آلاند دوقية مستقلة بعض الاستقلال سنة ١٩٠٩ . وكان الاهالي يصرون على عدم الاندماج بالروس . وفي سنة ١٩١٧ اعلنت فنلندا استقلالها كجمهورية واعترفت بهذا الاستقلال روسيا واسوج ونرويج وفرنسا واسبانيا ودمرك والمانيا
الفنلانديون على العموم قصار القامة مسطحو الوجوه مستديرو الرؤوس بارزو الحدود مائلو العيون خفاف اللحي شقر الشعور . والتعليم عندهم راق جداً وعام ونحو ٣ بالمئة منهم فقراء

يبلغ عدد اهل فنلندا ٣ ٥٠٠ ٠٠٠ وهم بروتستانت لوثيريون ما عدا ٥٠ ٠٠٠ ارثوذكسيّ واقل من الف كاثوليكي . وينهم نحو ٤٠٠ ٠٠٠ اسوجي متغلبون في السواحل . وهلسنفور مدينة اسوجية (في فنلندا) . واذا استثنينا المجر كان في اوربا نحو ٤ ٥٠٠ ٠٠٠ فينو - اوجريان

٢ - قوم اللاب Lapps

مع ان هؤلاء القوم انساباً للفنلنديين فهم واسلافهم من قبلهم لم يعرفوا في طوافهم الا البلاد القارسة البرد ولهذا نراهم اقزاماً في الجسم والعقل معاً . ومعدل الطول فيهم ٤ اقدام وسبع قراريط ووجوههم مستطيلة وتتراعى وجوه شيوخ وابداهم غير نامية ولا هي متناسبة وليس لشعورهم وعيونهم وسحنهم لون خاص بل هم مختلفون في ذلك ورؤوسهم اشد الرؤوس استدارة في كل اوربا . القليلون منهم على شواطىء الانهر والسواحل صيادون واصحاب مواش . على ان معظمهم يعتمدون في معاشهم وشغلهم على الوعل الذي يظهر انه خلق لهم كما خلقوا له . وفي نروج منهم نحو ١٧ الفاً وفي اسوج سبعة آلاف وفي روسيا نصف هذا العدد . وهم يتناقصون عدداً والتدن الذي بلغ اليهم يفيدهم فائدة تذكر . والذين في روسيا منهم ارثوذكس والذين في سكندنافيا بروتستانت . ولا يعلم كيف ترك هؤلاء القوم الوثنية واعتنقوا النصرانية

شعوب القوقاس

ان درس شعوب القوقاس وعر المسلك كثير الشعاب لان تقسيم هذه الشعوب ودرس أحوالها في بقعة معينة يكاد يكون مستحيلا . والاحصاء الروسي الرسمي بحسب جنسيات هذه الشعوب هو بالتقريب كما يأتي :

..... آريون

..... ٥٠٠٠٠٠٠ عرب - صريان

..... ١٩٠٠٠٠٠ أورال - التايان

..... ٢٥٠٠٠٠٠ قوقاسيون

والعبارة الاخيرة (قوقاسيون) تعني قوماً لا وصف خاص لهم كما هو للاقوام الثلاثة السابقة . وقد ذكر ان نسبة الاناث الى الذكور بينهم كنسبة ٩١ الى ١٠٠ اذاً أشرفنا من جبل البروز^(١) نرى الى الشمال الغربي ٢٠٠٠٠٠٠ جرکسي فاخري البنية نساء ورجالاً مسلمين لا شريعة مكتوبة لهم ولا لغة مكتوبة أيضاً مضيافين يحترمون المتقدمين في السن لا يعدون اللصوصية جرماً وانما يعدون اقتضاها معرفة . والاستقلال الفردي والقومي غريزة فيهم . وقلما يحبون للنساء قيمة اللهم سوى انها سامة تباع . ولا تعد النخاسة الجركسية عيباً في نظر البائع ولا في نظر الشاري لان الفتيات المسييات يعنى بهن في اخدار أسيادهن تمام العناية

وفي الشرق ٦٠٠٠٠٠٠ من القوم المسمين الاسغان Lesghians يقطنون في داغستان منذ القديم وهم مجتمع قبائل مختلفة. الاساليب في الكلام مسلمون شجعان الى حد التهور . عيونهم وشعورهم مختلفة الالوان . وهم مختلفو أشكال الجماجم اختلافاً يبنياً . متمسكون بحقوقهم . وهذا الشعب متجسم بجسم زعيمه شامل الذي قاوم روسيا ٢٥ سنة

وفي الجنوب الشرقي ٢٧٠٠٠٠٠ من قوم يدعون تششان Chechens وهم شرسون مهوبون كرام ودودن . ديانتهم مزيج غريب من الاسلامية والنصرانية . وهم يشبهون الجراكسة كثيراً

والى جنوبي جبل البروز يقطن الجورجيون وعددهم ١٣٥٠٠٠٠٠ يدعون

(١) القبة الشمالية من جبال القوقاس واعلى قمة فيها

انهم من نسل طوغارما بن نوح . تنصروا نحو سنة ٣٣٠ عن يد الراهب نونا وبالرغم من توالي الاضطهاد لم يزالوا متمسكين بنصرانيتهم . وفي سنة ١٧٩٩ انضموا هم وملكهم الى روسيا تخلصاً من ضغط الاعجام . وأما دياتهم ولقبتهم فلا تزالان كلغز عسير الحل . لملهم ليسوا هنوداً أوروبيين ولسكنهم ليسوا أورال الثيان . وأما سخزهم فقوقاسية . ونساؤهم مشهورة بجمالها الفتان

١ - الارمن

ان وجود الارمن في جهات مختلفة وشبهتهم بالقومية والمعاناة تسوغان حسابهم من الاوربيين . وهم بالحقيقة من الفرع الايراني من فروع العيلة الهندية الاوربية . على ان السواد الاعظم من الارمن يقطنون في صقع اسيوي كان مهد مملكتهم القديمة ومنه توسعت في القديم . والان لا يتغلب الارمن الا في ناحية صغيرة من تلك البلاد التي أصبحت تحتوي على عناصر مختلفة غير الارمن من أتراك واكراد وكلدانيين وأعجام وسريان وبدو

وهم يدعون انهم اقدم الشعوب واسمهم الجنسي « هاييج » نسبة الى « هاييج » جدتهم القديم حفيد او احد احفاد نوح . وبلادهم الباب أو الممر بين الشرق والغرب . وقد وطىء ارضهم الاشوريون والماديون والفرس والاغريق والرومان والبيزنطيون والمغول والسلاجوقيون والأتراك العثمانيون وكلهم كانوا يحاولون على التوالي امتلاك تلك البلاد

ولما ولد المسيح كان الارمن عبدة النار اتباع زرادشت ولكن بعضهم تنصروا حالاً على أثر الصلب . ونا كان القديس غريغوريوس يعظ ويبشر بالمسيح تأثر ملكهم تيريداتس واعتنق النصرانية هو وشعبه وتعمدوا في نهاية القرن الثالث . فكان تنصرهم أسبق من تنصر الملك قسطنطين عدة سنين . ولذلك كان الارمن أولى الامم التي اعتنقت النصرانية . وملكهم اول ملك تنصر . والكنيسة الارمنية الجورجية تعد اقدم الكنائس المسيحية

وفي القرن الرابع اقتبس مزروب طريقة الابجدية اليونانية للغة بلاده ولم تزل مستعملة حتى اليوم وشرع في ترجمة التوراة وانتهى من ترجمتها في سنة ٤١٠ ومنذ القرن السادس لم يتمتع الارمن باستقلال . وكانوا في بعض الاحيان

يتمتعون بالسكينة والراحة . ولكنهم لما كانوا رعايا امم غاتية ولم يكن لهم من يحمي
 ظهرهم ويشد أزهرهم كانت أعناقهم وارزاقهم مدة ١٢ قرناً كأنها معلقة بشعرة . حتى
 انهم قبل مجيء الترك قاسوا كل خوف وكل اضطراب وكل شغب عدة مرار
 والارمن في الذكاء والاخلاق أرقى من حكامهم الذين كانوا يذكون نار ذكائهم
 ويوقدون جذوة نشاطهم بما يبدونه لهم من الحقد وما يسومونهم من الاستبداد .
 وكانوا متشبثين بنصرانيتهم كل هذه القرون بالرغم مما لقوه من الاضطهاد
 وكانوا دائماً يهاجرون الى الاستانة وأخيراً الى الولايات المتحدة . وما قل منهم
 المليون والمتمولون الذين حشدوا الاموال وكان منهم غير واحد وزير مالية الدولة .
 وفيهم كثير من الفنيين

والامة الارمنية عشاقه للتعليم فلا نجد كنيسة الا الى جانبها مدرسة . والطلبة
 الارمن يبرعون في العلوم الرياضية
 وبالأجمال يقال ان ما نراه من العيوب في الارمني راجع سببه الى استعباده
 الطويل وأحوال بيته

معظمهم قاموا البشرية خشنوها كثاث الشعور عراض الجباه شم الانوف مفتولو
 العضل . وندر من لم ير امرأة ارمنية ذات حاجبين كالقامين وقامة هيفاء وجمال
 كجمال الحسناء الايطالية أو لم ير رجلاً ارمنياً طويلاً جميلاً متناسب الاعضاء خيز
 النموذج لتمثال

وتتراءى لغة الارمن في الحديث فظة خشنه ولكن اذا سمعت من فم خطيب
 او واعظ في الكنائس القديمة ظهرت جليلة مؤثرة كالرعد القاصف بين الصخور
 والمذابح الارمنية التي أجرت الدماء أنهاراً في السنين الاربع الاخيرة على مرأى
 ومسمع من برلين كانت أفظع ما قاساه الارمن من الولايات . وتقرير بعثة « بريس »
 عن هذه الفضائع - التقرير الذي لا مشاحة فيه - وشهادة هنري مورغنتو سفير
 أميركا في الاستانة يشتملان على أعظم تهمة بأفظع الجرائم في تاريخ الجنس البشري
 ٢ - التتر الاتراك

يبلغ التتر الاتراك في روسيا نحو ٧٠٠ . ٠٠٠ وهم اقوام مختلفة . بعضهم مسلمان
 وبعضهم بوذيون وبعضهم عبدة الشيطان وبعضهم بدو رحل وبعضهم متحضرون . ولا
 يهتم الدارس من امرهم شي سوى الوجه العامي (الانثروبولوجي)

الرومانيون

من غرائب الامور انك تجد في جوار البحر الاسود عند مصب الدانوب شعباً ذا طينة واحدة يشبه الشعب الروماني القديم في لغته وشكله وتماثيله وانصابه حتى في اسمه (رومانيا) مع انه محاط بالشعوب الهنغارية والسلافية القوية ومنفصل عن رومة بكل شيء ويبعد عنها نحو ٥٠٠ ميل مسافةً و١٦ قرناً مدة

في سنة ١٠٧ جمعت داسيا القديمة (وهي رومانيا الحديثة) ولاية وفي سنة ٢٧٤ تركت للقوم البربر : في التاريخ الاول احتل الالف من العائلات الرومانية تلك البلاد الحصبة واستعمروها وفي عهد قصير أصبحت جنة الله في أرضه . وفي التاريخ الثاني تركت تلك العائلات الى رحمة الاقوام الهمجية التي كانت تسيطر بها وانقطعت عن أمها رومة وبقيت تعتورها النكبات والارزاء الى ان انقذت في وسط القرن الغابر

ومع ذلك فان اللغة الرومانية كانت مكنية والتمدن الروماني كان عريقاً وثبات الداسيين كان خالداً حتى ان الامة الرومانية الحاضرة نشأت من بين هذه العوامل الاجتماعية الثلاثة

واسم الفلاح الذي كانوا يعرفون به حتى اليوم لم يكن الا لقباً سلاقياً ومعناه البدين القوي وكان يطلق على فلاحي الرومان . واخوانهم العديدون الذين يقطنون في بلاد اليونان يلقبون دائماً كوتزو فلاخ أو لام فلاخ ومع أن الرومانيين لا ينيون في كل شيء فان العامل الجغرافي جعلهم تابعين للكنيسة الارثوذكسية الشرقية

وكانوا اذا أخضع الغزاة بلادهم يلجأون الى الجبال او عبر الدانوب وبقوا هناك جيلاً بعد جيل . ويؤكد مؤرخهم كوجلييتشانو انهم لم يكونوا ليتزوجوا امرأة من غير امتهم . ويقول جيبون ان الفلاح كانوا محاطين بالبربر من كل جهة ولكنهم لم يمتزجوا بهم

وبعد غزوة البرابرة الاخيرة في القرن الثالث حين انسحب الغزاة الى الشرق مزودين بالغنائم والاسلاب ومرتبون من الدماء عاد الرومانيون رويداً رويداً واحتلوا ولايتي فلاخيا على الدانوب ومولدافيا بين جبل الكاربات والبروث

وكان الترك قد فتحوا هذه الجبال منذ قرنين فغزوا الولاياتين المذكورتين على ان النهضة العقلية التي بدأت منذ مئة سنة عجلت في انقاذهم من ايدي غزاتهم ومستعبدتهم . فضمنت أوروبا الاستقلال لتينك الولاياتين سنة ١٨٥٦ . وبعد ثلاث سنين اتحدتا تحت اسم رومانيا وسمي كارول احداً امراء هوهنزرن اميراً على هذه المملكة الجديدة فاقترح الأهالي اقتراعاً عاماً على قبوله فكان معه ٦٩ ٦٨٥ صوتاً ضد ٢٢٤ . وبقي كارول يلقب بالامير حتى سنة ١٨٨١ فلقب ملكاً حتى سنة ١٩١٤ وهو والمملكة كارمن سيلفا استحقا حب الشعب . والمملكة ماري الحالية في عداد الكتاب المتحمسين للوطن

وكانت رومانيا حليفة روسيا حين حاربت هذه تركيا سنة ١٨٧٧ و ١٨٧٨ فحاربت معها . وقد كوفئت على ذلك مكافأة سيئة اذ اضطرت ان تتنازل عن بسارايا لروسيا بدل قسم من بلاد جبيلة جرداء تدعى دوبروجا ثم حصلت على قسم آخر بعد حرب البلقان سنة ١٩١٣

اما دوبروجا فواقعة بين اسفل الدانوب والبحر الاسود ولهذا يمكن تحسينها وتعد ذا قيمة حربية . والترك والتتر والجر اكة كثيرون بين سكانها

وفي رومانيا عدد عديد من الهنجارين والجرمان والبلغاريين والسريين . وعدد سكانها ٧ ٥٠٨ ٠٠٠ . والعنصر الروماني متغلب في بساريا وبوكوفينا و ترانسلفانيا . وكذلك يوجد كثيرون من الرومانيين في بلغاريا واليونان وهنغاريا وسربيا وعدد الرومانيين عموماً في بلادهم وفي غيرها يبلغ نحو ١٣ مليوناً

وازدیاد مواليد الذكور عند الرومانيين على مواليد اناتهم اكثر منه في كل أوروبا ما عدا اليونانيين . ويلاحظ ان هذه المزية خاصة بالشعوب اللاتينية الاغريقية

واللرومانيين ولع خاص بالافرنسيس ولا يستاءون اذا قيل ان بلادهم فرنسا شرقية . وهم أنفسهم يلقبون عاصمتهم بخارست « باريس الشرقية »

وكان نصيب رومانيا من رزايا هذه الحرب كنصيب بلجيكا والچيل الاسود وسربيا . فقد كانت محاطة بالاعداء من كل جهة وعزلاء عن سائر حلفائها ولهذا اضطرت كهؤلاء ان تسلم للفاتحين تسليماً موقتاً

سلالات شبه جزيرة البلقان

شبه جزيرة البلقان هو اقرب أشباه الجزر الاوربية الجنوبية الى الشرق . وهو يلقب باسم جبال البلقان الشاخنة في وسطه . وعلى ضفاف الدانوب الذي هو حده الشمالي الطريق الطبيعي لشعوبه الرحالة التي انتشر عدد وافر منها جنوباً في البقاع الخصبة بين سفوح الجبال والنهر . وإلى الجنوب والغرب بطاح تظلمها سلاسل الجبال فتجعلها ملجأ حصيناً تنمو فيه الجماعات والاقوام

مساحة البلقان ١٨٥٠٠٠ ميل مربع . وليس في أي مساحة كهذه في أوربا مثل ما في البلقان من تنوع الظواهر الطبيعية وتنوع الارزاق والجماعات وكان في الامكان انضمام أهل البلقان جميعاً لو كانوا كلهم شعباً واحداً تربطه عواطف مشتركة ، أو لو كان تحت سيطرة سلطة واحدة لا يستطيع أن يقاومها . وليس في التاريخ ما يدل على ان البلقان قطنه في زمن من الازمان شعب واحد متحد . وما استتبت فيه سلطة عليا الا نادراً وإلى زمن قصير

وفي كل عصرٍ من العصور كان البلقان مجمعاً لسلاسل وشعوب ولغات وأديان وعواطف ومطامع مختلفة متضاربة متنافرة يشتمل البلقان على اترك والباينين ويونانيين وبلغاريين وسريين وشعب الجبل الاسود

وقلما كانت تتفق حدود هذه الولايات أو الممالك مع حدود السلالات واللغات . ولهذا ترى في كل جهة التخوم الجنسية واللغوية متجاوزة التخوم السياسية أو بالعكس بحيث ان الولاية الواحدة تدعي حقوقاً أو حدوداً في الولاية الاخرى . وفي بعض الحدود لا يعرف السكان أنفسهم لأي سلالة ينتمون وأي حق سياسي يجب أن يدعوا . ولذلك كانت الدعوات السياسية تتوالى جيلاً بعد جيل وينفق في سبيلها الاموال الطائلة لتأييدها

١ — الاتراك العثمانيون

ما من أمة من الامم الشرقية (في اوربا) يعرف أصلها ومنشأها كأمة الاتراك العثمانيين

في سنة ١٢٣٠ نزع نحو ٤٠٠ عيلة من البدو الوثنيين بزعامة القائد التتري أرتوغورول الى آسيا الصغرى (الاناضول) . وكانوا قد فرّوا من خراسان من امام وجه الغازي جنكيزخان . وكانت آسيا الصغرى لذلك العهد قد تجزأت الى عدة مقاطعات صغيرة اكبرها وأهمها سلطنة ايتونيوم السلجوقية

ثم اعتنقت هذه العيالات الاسلام من تلقاء نفسها وحالفت السلطان علاء الدين وانتفعت من ولائها واسلامها واستقوت وأزهرت بسرعة حتى صار كل طريد من المسلمين والنصارى واليهود يلجأ الى مضاربها . وفي سنة ١٢٨١ تولى الزعامة عثمان (ومعه كاسر العظام) فكان خير فال لاتباعه العتاة

ولما مات علاء الدين آخر السلاطين السلجوقيين تفتت سلطنته الى عدة أجزاء ففتحتها عثمان كلها ونادى بنفسه سلطاناً ومنذ ذلك الحين جعل شعبه يلقبون أنفسهم بالعثمانيين ويعبدون تليقرب العرب أو الافرنج لهم بالترك أو البربر اهانة

ثم اتسعت المملكة العثمانية على يد سلاطينها السبعة الاول الذين توارثوا الملك ابن عن أب . وسابعهم محمد الثاني فتح الأستانة سنة ١٤٥٣ . ثم توالى الفتوحات العثمانية واتسع نطاقها من حدود العجم الى الاتلانتيك ومضائق باب المندب حتى ارتفعت لها أوروبا وجزعت

ولكنها في سنة ١٦٨٣ غلبت على امرها في فينسا عن يد جون سويسكي البولندي فاخذت تتقلص تدريجاً حتى لم تبق مملكة الترك العثمانية الآن تشتمل الا على جانباً من آسيا الصغرى

وقد كان تحت حكم السلطان اخيراً نحو ٢٠ مليوناً ليس الا ثلاثة اخماسهم أتراكا عثمانيين . والعثمانيون الاصليون بينهم (وهم الفرع التركي المشتق من عيلة أورال التايان) قليلون بالنسبة الى الآخرين

ولما كان الترك يحتفلون النساء من أي أمة وكان كثيرون من اليهود والنصارى يندمجون مع الاتراك تاركين دينهم تغير الدم التتري تدريجاً وتطور شكل هذه الجنسية . وكان معظم الصدور العظام ومعظم وزراء البحرية في مدة القرون الخمسة الاولى من عمر هذه الدولة من السلالات اليهودية والنصرانية

والعثمانيون الاصليون - من باشاوات أو فلاحين - متشبهون بجنسيتهم فخورون مباهون محافظون وكارهون لكل ما هو أجنبي . على ان الاتراك الفتيان قد تقلدوا

العادات والتصورات الاوربية بيد انهم قلما يبدون شيئاً من فضائل الغربيين . والتركي على العموم وهو ظافر أو قابض على زمام السلطة عديم الشفقة والرحمة بيد انه وهو مغلوب ذليل وعديم الاذى . فلا أظلم منه سيداً ولا أخضع منه مسوداً وما برح الحكم العثماني مستهلكاً غير منتج بل نخداً لقوة الاتاج او هو كريح السموم لفح كل شعب سيطر عليه ، حتى الأتراك أنفسهم انضكوا واقتروا وتناقص عددهم . والحكومة لم تعتمد الا على القوة القاهرة لاطالة عمرها . وهي تنذرّع بأي الوسائل بلا رحمة ولا شفقة ولم تكن لتأنف من ارتكاب المذابح في رعاياها لاقتنائهم . وهي منذ مئات من السنين قد اختارت لون الدم لرايتها . ومن القاب السلطان الرسمية « ذابح الناس » أي السفاك

٢ — الالبانيون

الالبانيون يقطنون صقلاً واقعاً شرقي البحر الادرياتيكي . وأصلهم ولغتهم موضوعان معقدان للباحث . والراجح انهم اقدم شعوب أوروبا الشرقية ومن سلالة القوم البيلاسيجي . ولغتهم خليط من الالفاظ اليونانية واللاتينية والطيانية والسلافية والتركية . ولكن أجروميتها مختصة بها وللالبانيين محافظة غربية على جنسيتهم فان نزالاتهم في ايطاليا وصقلية التي يرجع تاريخها الى ١٥ قرناً وعددها نحو ٢٠٠ . ٠٠٠ لم تندمج الا قليلا بالاطليان ولم تزل محافظة على لغتها وعاداتها . وكذلك النزالة الالبانية في بلاد اليونان وتبلغ نحو ٢٠٠ . ٠٠٠ فانها ليست اكثر اندماجاً بالاهالي

وسر قلة اندماجهم هذه انما هو في احتقارهم الاجانب وافتخارهم بأسلافهم في حين انهم يجهلون حقيقة أسلافهم . فهذا الافتخار وحياتهم الجبلية أحييا فيهم حب الاستقلال . وهم فقراء شرسون شجعان حريون ولهم عدة فضائل كالولاء والكرم والضيافة . وآمن مكان للمرأة جبالهم المخوفة . وعددهم في بلادهم وفي مهاجرهم نحو مليون ونصف . وقبائلهم عديدة

ونهر شكومي يفصل فريقى الالبانيين المسيحيين : فالى الشمال الكاثوليك والى الجنوب الارثوذكس . الاولون يستعملون الابجدية اللاتينية في كتاباتهم والآخرى الابجدية اليونانية . اذ ليس لهم أبجدية خاصة بهم مع ان بعضهم حاول استنباط

أجندات مختلفة لم تسد النقص تماماً وبعضها كان مستهجنًا. ونصف الألبانيين مسلمانون وقد أسلموا بعد الفتح وهم يرتدون تدريجاً إلى دينهم السابق أو يهاجرون ومن أعلامهم المشهورين البطل المغوار جورج كاستريوتا أو سكندر بك الذي تنقلب على الترك مدة عشرين سنة. ومنهم ماركو بوزاريس ومحمد علي باشا الشهير وما كانت سياسة أوروبا الحرقاء بأخرق منها يوم عينت البرنس ويد ملكا على البانيا سنة ١٩١٣

٣ - الأغريق

ان خريطة بلاد اليونان في القرن السادس قبل المسيح تصلح خريطة للبلاد التي يقطنها اليونانيون اليوم. وقد نزل المستعمرون اليونانيون قديماً في جنوبي فرنسا وجنوبي إيطاليا واندمجوا مع الأفريسيين والطيالين. وفيما سوى ذلك فالأغريق الذين كانوا منذ خمس مئة سنة قبل المسيح وأغريق السنة التاسعة عشرة من القرن العشرين هم هم

على ان سيولاً من الغزوات فاضت على بلاد اليونان - القوط والبندقيون واثانومبارديون والأفريسيين والجرمان والعثمانيون والألبانيون والقلاخ - كل هؤلاء غزوا بلاد اليونان وكثيرون منهم بقوا أو تركوا نسلاً فيها. وقد كتب قسطنطين بروفير وجنيثوس في القرن العاشر: « أصبحت بلاد اليونان كلها سلافاً ». وهنري ده فالانسيان في القرن الثالث عشر حسب شعب بلاد اليونان أفريسيًا. وفاليريير في القرن التاسع عشر برهن ان الأغريق لم يكذبوا في عروقتهم دم أغريقي منذ خضع الأغريق للرومان ظلوا عبيداً للأجانب وقد حكمهم الأتراك ثلاثة قرون ولم يتحرروا الا بعد سبع سنين الويل التي استغرقتها الثورة اليونانية من سنة ١٨٢١ إلى ١٨٢٨

ومع ذلك فان مدينتهم تطرقت إلى الامبراطورية الرومانية الشرقية حتى سميت هذه بعد القرن السابع الدولة الاغريقية او البيزنطية. وحتى أوائل القرن التاسع عشر كان جميع المسيحيين في شبه الجزيرة (البلقان) يدعون أغريقاً. ولنتهم التي لم تمت (وكانت لغة الطقوس الرسمي في الكنائس) لا تزال هي لغتهم الدارجة رغم ما تطرق اليها من الفساد أو التطور

وبالرغم من تشبههم واندماجهم مع العناصر الأخرى بقيت لهم سماتهم الأصلية وعاداتهم ومعالهم وأخلاقهم وأذواقهم . فلم يزل وجه الاغريق بيضاً ولونه زيتونياً وشعره كثيفاً اسود وعيناه برأقتين وسوداوين . ويندر ان ترى أغريقياً أشقر البشرة والشعر

ولا يزال الاغريق صديق البحر فان معظم التجارة في البحر المتوسط في يده . وفي سنة ١٩١٦ دخل الى بيروت اسكلة أثينا ٢٦٥٨ باخرة منها ٢٤٩٤ كانت تحت الراية اليونانية . ومراكب اليونان الشراعية التي يبلغ معدل حمولتها ٢٥٠ طناً عديدة في الشرق

اليوناني تاجر مقدم وعامل نشيط . وكثير من مصارف جنوبي أوروبا يونانية . والسياسة أهم المهن عند اليونانيين الحديثين كما كانت عند قدامئهم . ومع ذلك لم ينبغ بينهم سياسي عظيم سوى فنزيلوس وهو كريقي

وكان من نتائج حرب البلقان في سنتي ١٩١٢ و ١٩١٣ ان أضيف الى بلاد اليونان ١٤٠٠٠٠٠ يوناني كانوا قبلاً من رعايا تركيا . وبعد ذلك أضيفت جزيرة كريت الى اليونان . وعدد السكان الحالي ٥ ملايين . وازدياد عدد الذكور على الاناث في بلاد اليونان اكثر منه في أي بلد في أوروبا

٤ — البلغاريون

من أصل فينواوجرياني . واسمهم مشتق من نهر فولغا الذي نشأت عنده مملكة بلغاريا الكبرى في القرن الخامس . فمن هذا النهر قاد زعيمهم بعض فرسانهم سنة ٦٧٩ فقطعوا الدانوب وأخضعوا السلاف على شاطئه الجنوبي . ولأن عددهم قليل اندغموا بالسكان السلافيين . ولما تنصروا في القرن التاسع عن يد مرسلين اغريقيين تم اندغامهم بهم

بقي اسمهم بلغاريين ولكنهم أصبحوا سلافيين في اللغة والنظام والعادات . ولهذا يعدّ البلغاريون شعباً سلافياً

وقد أخضعوا كل القسم الشمالي من الجزيرة من البحر الاسود الى الادرياتيك . وأخيراً انشقت مملكتهم الى قسمين فتغلب عليهما الامبراطرة البيزنطية . ولكنهم شقوا عصا الطاعة غير مرة وخرجوا على الدولة البيزنطية وانضموا أخيراً في مملكة

واحدة اقوى من الاولى تحت حكم قيصرهم الكبير اسن الثاني فحكم بالحكمة ثم تلا ذلك تفهم وانحطاط حتى صار البلغاريون يدفعون الجزية للملك السربي دوشان . واخيراً اضطرّ الاتراك العثمانيون ملك البلغار أن يخضع للسلطان وأن يقدم أخته الى دار الحريم

وعقب ذلك خمسة قرون خضع فيها البلغاريون للسلطنة العثمانية . فاعتنق كثيرون من البلغاريين الاسلام وعرفوا هم وأولادهم وأحفادهم من بعدهم بلفظ « يوماك » . وعلى اثر الحرب الروسية التركية سنة ١٨٧٧ و ١٨٧٨ حررت روسيا بلغاريا وهذه الولاية المتوقعة الملقبة بالامارة البلغارية لم تكن تشمل الا على القسم الواقع شمالي جبال البلقان . وبعد ٧ سنين شبت ثورة اسفرت عن ضم الروملي الشرقية اليها وهي جنوبي البلقان . ومع ان بلغاريا تحررت فقد جعلتها الدول العظمى امانة تابعة لتركيا تدفع لها الجزية السنوية . وفي سنة ١٩٠٨ أعلنت بلغاريا استقلالها وسمي أميرها قيصر البلغار

ولما كان كثيرون من البلغاريين واليونان والسريين لا يزالون تحت النير التركي تحالفت اليونان وسربيا وبلغاريا والجبل الاسود وأثارت سنة ١٩١٢ حرباً على تركيا بحجة انتقاد هاتيك العناصر . وهي اول مرة اتحدت فيها الممالك النصرانية البلقانية على ان ذلك الاتحاد لم يدم طويلاً لان كل واحدة منهم غالت في مطامعها . وكان أشد مطامعهم المتنافرة في موناستير التي جمعت كل العناصر . وكان الحكم التركي قد اقامت كل عاطفة جنسية او وطنية في تلك العناصر . وكثيرون لم يدروا هل هم بلغاريون أو سربيون أو يونان

وفي سنة ١٩١٣ فاجأت بلغاريا حليفتيها بهجوم عنيف اسفر عن فشلها وانكسارها . وفي سنة ١٩١٥ اتحدت مع الممالك التيوتونية لانها اعتقدت بأن انتصارها محتوم في الحرب العظمى . ولكنها في سنة ١٩١٨ لما رأت ان انكسار حلفائها اصبح محتوماً سلمت لاعدائها متوسلة الى الصالح

على انه في حوادث هذه السنين الاخيرة يجب التمييز بين الشعب البلغاري وملكه الجرمانى النزعة . فالشعب اطاع ملكه ولكنه لم يكن على رأيه في سياسته الخرقاء . وفي سنة ١٩١٧ كان ثلاثة ارباع سكان البلاد (الذين بلغ عددهم حينئذ ٥ ٥١٨ ٠٠٠ ومعظمهم من اتباع الكنيسة الشرقية الارثوذكسية) من البلغاريين

اللغة البلغارية تعد أقدم اللغات السلافية وأحدثها في وقت واحد . فالأجرومية تدل على الحدأة واسكن الاسلوب اللغوي قريب جداً للغة السلافية القديمة وكان معدل المواليد سنة ١٩١٠ نحو ٤١ لكل الف . وفي سنة ١٩١١ كان عدد المواليد يزيد على عدد الوفيات بنحو ١٨ بالالف وهي زيادة ليس مثلها في أمة من أمم أوربا والبلغاريون شعب نشيط مجتهد نبه شديد البأس . وهم عمليون لا تصوريون خيالون

٥ - السرييون

كان السرييون لأول الامر يقطنون سفوح ومنحدرات جبال الكريات مع اقاربهم الكرواتيين . وفي القرن السابع احتل الفريقان جنبا إلى جنب غربي شبه الجزيرة وغربيها الشمالي . وكلاهما اعترفا بالامبراطور البيزنطي سلطاناً عليهم السرييون علاون سربيا الحالية ويتدفقون الى ما حولها - الى البانيا الشمالية والجيل الاسود والبوسنة والهرسك وربما رأيتهم الى شمال هذه أيضاً . اما الكرواتيون فقد استقروا في الغرب الشمالي

وقد تنصر السرييون قبل سائر القبائل السلافية . على ان البيعة الجغرافية جعلت السريين الذين من جهة الشرق اتباع الكنيسة الشرقية الارثوذكسية كما جعلت الكرواتيين الذين يسكنون غرباً اتباع الكنيسة الكاثوليكية . وقد حالت التحزبات الداخلية دون نموهم . فكانوا في القسم الاول من تاريخهم اتباعاً للبلغاريين والبيزنطيين على التعاقب ولم يستقلوا حتى القرن الثاني عشر ومع ان المملكة السربية لم تدم اكثر من ٣٠٠ سنة فان اثنين من قيادتها ستيفن دوشان الكبير ولازا جعلها مجيدة

وقد تزوج دوشان القيصر البلغارية هيلانة فاتفقت معه على غزو تركيا التي كانت تهدد البلاد فوحد دوشان كل قوات شبه الجزيرة لهذه الغاية ولكنه مات في خلال زحفه على الاسنانة . وقد كان هذا القيصر ساعي القصد وكان مشتغلاً قديراً وسياسياً محنكاً وجندياً بأسلاً

ثم جاء لازا وتولى مهمة دوشان وحارب حرباً مجيدة ولكنه سقط في سنة

١٣٨٦ في معركة قوصوه ويقال ان سبب سقوطه خيانة . ومع ان سربيا ضعفت فان روحها لم تنكسر فبقيت تقاوم ٧٠ سنة ولكنها جعلت أخيراً ولاية عثمانية على ان بعض قبائل الجبال بقيت تحارب الأتراك . وفي سنة ١٨٠٤ اجتمع السربيون بقيادة قره جورج وبعد حرب ٢٥ سنة عقدت المعاهدة التركية الروسية التي اعترف فيها السلطان باستقلال سربيا الداخلي . وكان قد ظهر زعيم آخر يدعى ميلوخ اوبرانوفيتش . فاشتد التنافس بين عائلتي قره جورجوفيتش واوبرانوفيتش . ومع انه لم يحدث بسبب العمليتين حرب أهلية فقد سودتا تاريخ سربيا . فحكها ثلاثة من العيلة الاولى وخمسة من الثانية وانقرضت أسرة اوبرانوفيتش سنة ١٩٠٣

ولما انتهت الحرب الروسية العثمانية سنة ١٨٧٨ نالت سربيا استقلالها التام واصبحت ملكية بعد ذلك باربعة سنين . ولما اتحدت بلغاريا والروماني الشرقية غضبت سربيا فاعلنت الحرب سنة ١٨٨٥ ولكنها انكسرت شر كسرة في سلفينيتزا . على ان الحرب التي حدثت سنة ١٩١٢ واشتركت فيها سربيا كانت ذات نتيجة صالحة اذ تحررت فيها جميع العناصر غير التركية من نير الترك . ولما انتهت هذه الحرب بحرب أخرى بين البلقانيين كان لسربيا الفوز على بلغاريا

ولا يخفى ان حكاية الانذار النمساوي وغزوات النمساويين الثلاث للبلاد السرب وبأس السرب أخيراً من مقاومة اعدائها - كل ذلك يجعل للسرب شأنًا خطيراً في تاريخ الحرب العظمى

يبلغ سكان سربيا نفسها ٦١٦٠٠٠ ٤ كلهم سربيون تقريباً . وعدد السربيين القاطنين في اوستريا هنغاريا (النمسا) السابقة يقدر بنحو ٥ ملايين معظمهم ابناء واحفاد الذين هاجروا اليها بعد معركة قوصوه

واللغة السربية خالية من الحشونة وتعد من خير اللغات الصالحة للشعر والتأحين . يقول شافاريك وهو من قوم التشيك : « تشبه الاغاني السربية ألحان الكمنجة . والاغاني السلافونية القديمة ألحان الارغن . والاغاني البولندية ألحان القيثارة . وتشبه اللغة السلافونية القديمة خرير المياه المنحدرة من الجبال . والبولندية تحاكي الرشاش وتدفق الماء من الناييع . والسربية تحاكي خرير الجدول في الوادي »

قليل اغنياء السربيين ولكن ليس من فقير بينهم ولم يكن من معدوم قبل سنة

١٩١٤ . لكل عائلة منزل تملكه مهما كان صغيراً وحقيقياً . وحياتهم ديموقراطية محضة . وقد كانوا يحبون الملكية السابقة ناتالي « لأنها كانت تسير في الشوارع عارية الرأس وشعرها مرسل تلاعب فيه الرياح » . وهم شعب نشيط سريع الحركة حسن الظن مبسوط الكف . ضارع البلجيكيين في تحمله المشاق وتجشمه الاخطار وفي اعماله الحربية المجيدة . وقد خرج السرييون من الممعة الحربية شعباً مكتسباً ثقة العالم ثابتاً في مبادئه معتمداً على نفسه

٦ - الجبليون الاسودون

يروى في الاسطورة السلافية ان الله لما صور الارض حمل كيساً كبيراً مملوءاً من الجبال وجعل يذر منه كما يذر الفلاح البذار في الارض . واتفق ان الكيس انخرق شرقي الادرياتيك ووقع منه كثير من بذار الجبال فنبت وتكوّن منه الجبل الاسود الكثير الشعاب والقمم

الجبليون هم نموذج الابطال ومثال الاحرار . وهم سريو الاصل . فانه بعد ان تدمرت مملكة السريين في قوصوه لجأت زمرة منهم الى هذه الجبال آية ان تخضع او تهاجر فانقطعت عن كل مدد او مساعدة من الخارج واصبحت محاطة بالعثمانيين الاتراك من كل جهة . وقد هاجمهم الترك مراراً عديدة بقوات عظيمة فكانوا يهزمونهم ويدحرونهم مترفين عن أي محالفة او موالة لهم او لأي دولة . حافظوا على استقلالهم من سنة ١٣٨٩ الى سنة ١٩١٦

وكان الحرك الرئيسي في حياتهم الاجتماعية والسياسية مبدأ مقاومة الترك . وكان حاكمهم دائماً اسقفاً (يسمونه فلاديك) لانه وهو مقدس ومنزه لا يخضع لمقاومة الترك ولا يقبل رشوة منهم . وكانت خلافة هذا الحاكم تنقل من العم الى ابن الاخ ثم اصبحت امراً وراثياً سنة ١٨٥١

واعترف السلطان باستقلال الجبل الاسود سنة ١٧٩٩ وبعد ٧٩ سنة اعترفت به اوربا كلها . على ان هذه المملكة الصغيرة التي ثبتت قروناً مستقلة فكانت كمشمال الحربية في شبه جزيرة البلقان اخضعها العنصر التيوتوني برهة سنة ١٩١٦ يبلغ عدد الجبليين نحو ٤٠٠ ٠٠٠ . وكلمهم كبار الهامة عراض الاكتاف منتصبو

يوغوسلافيا

(اي بلاد سلاف الجنوب)

كانت امنية زعماء الكرواتيين والسلافونيين وزعماء مملكة سربيا ايضاً توحيد عناصر اليوغوسلاف . وقد راموا ان يضموا معاً البوسنيين والهلقاتيين والكرواتيين والسلافونيين والبلغاريين والسلوفينيين (وهم من رعايا النمسا سابقاً) واهل الجبل الاسود وسربيا وبلغاريا

فالحرب العظمى قد حتمت هذه الامنية اللهم ما عدا بلغاريا . ولما خالفت بلغاريا الاتراك الذين قضوا القرون يضطهدون السلاف وارسلت جنودها لمحاربة السريين هاج عليها جميع السلافين اشد من هياجهم ضد العجرمان والعقبة الوحيدة في سبيل هذا الاتحاد الاختلاف في التابعية الكنسية . فمعظم اليوغوسلاف اتباع الكنيسة الارثوذكسية الشرقية والباقيون كاثوليك ما عدا المسلمين القلائل

وهناك عقبة اخرى دون اتحاد العناصر المذكورة وهي قلة اعتبار بعضها للحكم الذاتي وعدم ممارستها له . واذا استثنينا الجبلين والسريين في سربيا نفسها فسائر الجماعات الاخرى تقلبت على انواع احكام مختلفة تحت سيادة حكام اجانب من ترك ونمساويين ومجر منذ المصور الوسطى . ولا يخفى ان نظام الاتحاد اصعب المنظمات واعقدها ويستلزم درجة سامية من الذكاء وحسن الادارة

وبقيت فكرة هذا الاتحاد خرافة للسواد الاعظم من الاهالي الى ان قام الآن بعض ذوي الاحلام ينادون بها واثقين بإمكانها وان كانوا في الاصل من رعايا تركيا أو النمسا . ومع ذلك فما كل العناصر السلافية الآن ترغب بتحقيق هذه الفكرة . ومن جملتهم السلوفينيون فانهم ممن لا يحبذون هذه الفكرة . فالحالة تشبه من بعض الوجوه حالة الولايات الاميركية الاولى بعد الثورة الاميركية وقيل وضع القانون الاساسي

وهناك عوامل قوية محمل على التعاون بين هذه العناصر . فهذه الشعوب من سلالة

واحدة وحولها الغرباء من كل جانب . واللغة السربية لغة الجميع لولا بعض الفروق البسيطة . وهي اللغة الادبية والكتاتية للكرواتيين والبوسنيين والهلقاتيين والسلافونيين والسربين ولبعض الدلماطيين . ورابطة اللغة والسلالة قوية ولا يوجد بين هذه العناصر عداوة موروثية . وهو غني البيان ان الذين حاربوا منهم مع النمساويين لم يفعلوا كذلك الا تحت الضغط العسكري . ثم ان تلك العناصر تعتقد بحق زعامة سربيا الطبيعية عليها جميعاً

والعامل الرئيسي في توحيد هذه العناصر هو يقين كل منها انها اذا لم تتحد فاستقلالها السياسي معرض للخطر . ولا ريب ان محاولة اليوغوسلاف الحصول على الحكم الذاتي عن طريق هذا الاتحاد تنال عطف كل من يعتقد بحق الشعوب في حكم نفسها بنفسها

١ - البوسنيون

اليوغوسلاف الذين كانوا رعايا النمسا حتى العهد الاخير هم البوسنيون والهلقاتيون والكرواتيون والدلماطيون والسلافونيون والسلوفينيون وبينهم بعض اليهود والاجانب

والبوسنيون الذين اقتبسوا اسمهم من نهر بوسنا هم سربيون وكرواتيون . وكانت لهم مملكة مستقلة لمدة قصيرة تحت حكم حاكم يلقب « بان » . وهم منقادون بحكم عاطفة القربة الى اخوانهم السربين . وفي عاصمتهم سراييفو حدث في ٢٨ يونيو سنة ١٩١٤ مقتل ولي عهد النمسا وزوجته الدوقة هوهنبرغ - المقتل الذي كان الجذوة الموقدة للحرب العظمى

٢ - الهلقاتيون

الهلقاتيون او الهرسكيون هم سربيون وكرواتيون وقد لقبوا كذلك لان ولايتهم اقتطعت من البوسنة لمنفعة ارشديق اجني (ويسمى Herzog ومنها Herzegovina)

٣ - الكرواتيون

كان الكرواتيون مدة طويلة متفقين اتفاقاً ودادياً مع السربين الذين يشبهونهم كثيراً . وفي سنة ١٩٠٨ اعلن امبراطور النمسا ضم البوسنة والهرسك

الولايتين العثمانيتين اللتين يبلغ عدد سكانهما المليونين . و ٩٨ بالمئة منهم سربيون او كرواتيون . ومنهم ٤٢ بالمئة اورثوذكس يدعون انفسهم سربيين و ٢٨ بالمئة كاثوليك يدعون انفسهم هلفاتيين و ٢٠ بالمئة مسلمون يدعون انفسهم اترাকা

٤ - الدماطيون

الدماطيون يقطنون سلسلة طويلة ضيقة من الجبال القائمة على شاطئ الادرياتيک الشرقي وجزر الادرياتيک الشرقية ايضاً . وكانوا دائماً يلقبون بالباجاتي او الوثنيين هزءاً وسخرية لانهم آخر من اعتنق النصرانية من السلافيين . ولما كانوا قد هاجروا افواجاً كبيرة تفوقوا على الوطنيين واندغم هؤلاء فيهم ولذلك بقيت لهم صفاتهم الخاصة . وكما ان السلافيين لقبوا الرومانيين المتكلمين باللاتينية فلاحاً هكذا لقب السلافيون الذين غزوا دماطيا الشعب اللاتيني الذي وجدوه هناك فلاحاً ايضاً او مافرو فلاح - اي الفلاح السود - ومن ذلك اشتقت كلمة مورلاخ الانكليزية التي عرف بها السلافيون الدماطيون

والثوب الدماطي الخارجي الذي يلبسه رجال الكهنوت الكاثوليك في الحفلات الدينية ويلبسه الملوك في حفلات التتويج اقتبسته روميه من دماطيا في القرن الثاني ايام كان يستعمله اشراف دماطيا فقط

دماطيا المتوسطة بين البندقية وهنغاريا لم تكن ذات استقلال سيامي . وفي القرنين الاخيرين تعاقب في امتلاكها البندقية وفرنسا واوستريا (النمسا) . وكان منها خير البحارة في الاسطول النمساوي

٥ - السلوفينيون او الوند

السلوفينيون او الوند Wend يقطنون خارج شبه جزيرة البلقان في الولايات النمساوية السابقة المعروفة باسم كارثيا وكارنيولا وستيريا . وهم يخالفون في العادات والمقاصد اخوانهم الكرواتيين والسلافيونيين مخالفة شديدة . وكانوا دائماً يصاهرون الجرمان والطلتيان والهنغارين حتى اصبحوا لا يعاون بشؤونهم الجنسية . وهم شعب نشيط لين العريكة قلما يميل للمقاومة او للتدمير . وامل النساء بين لهذا السبب

لانيوهم دون سائر السلافيين . يبلغ عددهم نحو ١ ٣٥٠ ٠٠٠ وهم كاثوليك يستعملون
الابجدية اللاتينية

٦ - السلافونيون

السلافونيون هم جيران الكرواتيين من الشمال . وفي سنة ١٨٤٠ اوجب
الهنغاريون على الشعبين استعمال اللغة المجرية فكرهوا كل ما هو مجري واتقد هذا
الكراه واحتدم وقامت قيامة الشعب بسببه في كل مكان

وبعد سنة ١٨٦٨ منح السلافونيون والكرواتيون الشرف الفارغ في تلقيب
بلادهم بالمملكة السلافونية الكرواتية . ولما كانت هنغاريا هي المسيطرة على
ملكيتهم كان الوزير الهنغاري يعين ملكهم الذي يسمى بلقبهم « بان » . وكان هذا
الملك عرضة للعزل بأمر الوزير . وكان المجلس الاهلي مختصاً بالمصالح المحلية فقط
ولا تنفذ قرارات هذا المجلس ما لم يوافق عليها المندوب الهنغاري الخاص بالمملكة
الكرواتية السلافونية الذي كان ايضاً عضواً في الوزارة الهنغارية

ومشروع المملكة الكرواتية السلافونية على هذا النحو كان ملطفاً لشموخ
الشعب . ولكنه لم ينجح طويلاً فما لبث ان هاج سخط الاهلي اذ تحققوا انه كان
تمويهاً على عيونهم وضحكاً على ذقونهم

تشيكوسلوفاكيا

(اي بلاد التشيك والساقفاك)

كانت المملكة الاوسترو هنغارية شاذة في نظامها وفي تعدد شعوبها . واذا لمنا
قليلاً الى نظامها سهل علينا فهم حاضرها ومستقبلها

تشتمل هذه المملكة (اوستريا هنغاريا) على قسمين متساويين مستقلين اوستريا
وهنغاريا . كان في اوستريا سنة ١٩١٠ نحو ٩ ٩٥٠ ٠٠٠ نفس جرمان و ١٨ ٢٤٣ ٠٠٠
غير جرمان من عناصر مختلفة اهمها السلافي . وكان في هنغاريا سنة ١٩١٠ نحو
١٠ ٠٥١ ٠٠٠ مجري و ١٠ ٨٣٦ ٠٠٠ غير مجري من عناصر مختلفة

ومع ان الجرمان ليسوا الا ثلث السكان في احد قسمي المملكة كانوا المسيطرين فيه . ومع ان المجر اقل من نصف السكان في القسم الآخر كانوا هم المسيطرين هناك ايضاً . وقد تولوا السياسة الداخلية والسياسة الخارجية

على ان الجرمان (النمساويين) والمجريين لم يكونوا قط على وئام . فالنمساوي كان غريباً في بودابست والمجري غريباً في فينا . على ان كلا منهما كان يعتقد ان سلامته متوقفة بالاكثر على مخالفته للآخر . وتفق كل من هذين العنصرين يعزى نوعاً الى احتكار القوة عهداً طويلاً والى الذكاء والمهارة في التدبير

ولكنهما اعتمدا ايضاً على التناظر والتحاسد بين الرعايا السلافيين وانقسامهم الذي كان يذكى ناره العنصر المتسيد . وكثيراً ما كانت بعض الشعوب السلافية تدنو من امانها وتحقق آمالها لولا ان يقاومها السلاف الآخرون او ان تنقسم فيما بينها

ان تفتت الامبراطورية النمساوية (اوسترو هانغاريا) ترك المجريين على حالهم السابقة بدون تغيير يذكر . واما النمسا فقد تفتت . ولا يزال النمساويون الالمان جسماً مئبناً متحداً . على ان كل شعب من الشعوب السلافية نهض لتحقيق امنيته الجنسية وقد اشرنا فيما مضى الى السلاف الجنوبيين او اليوغوسلاف رعايا اوستريا هنغاريا سابقاً (اي البوسنيين والهافاتيين والكرواتيين والسلافونيين والدلماتيين والسلوفينيين) . واما بقية السلاف الذين كانوا رعايا اوستريا فهم التشك والمورافيون والسلوفاك والروثينيون

وقد اعترفت دول الحلفاء والولايات المتحدة بالتشك والسلوفاك والمورافيين كامة مستقلة باسم الامة التشكية السلوفاكية

١- التشك

التشك اقرب الشعوب السلافية الى الغرب يحيط بهم الجرمان من كل جهة الا الشرق . وبوهيميا المسماة باللغة السلافية تشك تشق اسمها من بوي وهو اسم اقوام قبايلي الاصل كان في بعض الازمان محتلاً البلاد ثم عقبته فيها عدة قبائل جرمانية مختلفة . وبعد ذلك بزمان طويل احتلها التشك . والارجح ان ذلك الاحتلال كان مدة الغزوة السلافية السكيرية في القرن السادس

ونبلاء التشك أو الملاك فيها اقتبسوا في الحال الأساليب والعادات الجرمانية . وقد نصّرهم القديس ميثودْيوس . وتبعت الطبقة المتوسطة منهم الكنيسة الشرقية الأورثوذكسية . وبعد ذلك تبعوا الكنيسة الكاثوليكية فتغلب استعمال اللاتينية في الطقوس الكنسية على اللغة السلافية

وهكذا انتفت لغة التشك من الكنيسة وحلت اللاتينية محلها وانتفت من المجالس الاجتماعية الخصوصية والعمومية وحلت محلها اللغة الجرمانية ولم تبقى منتشرة إلا بين الطبقة العامة

وبعد أن أصبحت بوهيميا ولاية نمساوية أحرقت الحكومة الجديدة كل ما اتصلت إليه من كتب التشك ومخطوطاتهم وحظرت استعمال هذه اللغة في المدارس تحت طائلة العقاب . على أن التشكي واطب على التعلق بلغة أبويه بالرغم من هذا القانون العاتي وأصبحت اللغة والامة أمرين مترادفين يعبر عنهما بلفظ واحد وهو « جازيك » Jazyk . واللغة أقيمت الامة حية وأخذتها من الاندماج بغيرها . ولم تقتصر على هذه المزية فقط بل ملأت خزائنها بكنوز من الشعر القديم الذي لا يوجد في غيرها من اللغات السلافية

إن طبيعة التشك السلافية تشبه شبيهاً عجيباً أخوانهم البولنديين فكل من الشعبيين قوي متين وطني غيور . وفي كل منهما كانت الملكية متداعية . وكان فوق الملاك والشعب طبقة الاعيان الاغنياء الدائمة الاضطراب والتي كانت مسألة الوطنية عندها ثانوية بالنسبة الى المصلحة الشخصية او فائدة الطبقة نفسها . على أن عامة التشك الوضاع كانوا ذوي روح استقلالية أقوى من روح اعيانهم حتى كانوا أحياناً يضطرون أعيانهم أن يتبعوهم بدل أن يقودوهم

وقد نبغ بين التشك الكاتب الروائي جون هس والزعيم الشهير زيدكا وأحد أعظم أساتذة التاريخ كومينيوس مؤلف « العالم المنظور » وهو أول كتاب مصور للاحداث . واشتهرت هذه الامة أيضاً بجامعة المعروفة بجامعة براغ وهي التي نالت شهرة عظيمة في أوروبا الوسطى

على أن مملكة التشك لم تلبث أن سقطت على أثر معركة الجبل الأبيض سنة ١٦٢٠ ومن ذلك الحين لم يبق منها إلا اسمها بين القاب الامبراطور النمساوي

وقد مس تاريخ بوهيميا الملكي انكلترا مرتين فن الملك البوهيمي فردينند تسلسل جورج الاول أول الملوك الانكليز من بيت هنوثر . ثم ان الخوذة التي يلبسها البرنس أوف ويلس ولي العهد كان يلبسها الملوك البوهيميون . وذلك انه بعد الانتصار العظيم في معركة كرسى سنة ١٣٤٦ وجد الأمير ادورد الملقب بالبرنس الاسود قرب جثة الملك جون البوهيمي هذه الخوذة فأخذها ومن ذلك الحين أصبحت ارثاً لولي العهد الانكليزي

في مملكة بوهيميا القديمة ٧ ملايين من السكان نحو اربعة أخماسهم من التشك والباقيون معظمهم جرمان . وكثيرون من التشك يسكنون في سيليزيا النمساوية والبروسية بين المورافيين والسلوفاك . ومنهم كثيرون في الولايات المتحدة الاميركية ان جهاد التشك والسلوفاك الاخير في سيبيريا وروسيا وفرنسا وإيطاليا نال اعجاب العالم ولم يكن عاملاً صغيراً في الحصول على اعتراف الحلفاء باستقلال مملكة التشك والسلوفاك

٢ - المورافيون

المورافيون متجمعون حول نهر مورافا وهم يشغلون السهل المرتفع جنوبي التشك والسلوفاك ويشابهونهم كثيراً . وقد نصّرهم القديس ميثودئوس . وفي القرن التاسع كانت مملكتهم قد بلغت الى نهري الاودر والدراف ولكن الحزب ابتلعها وقد ألف تلامذة جون هس « جمعية الاخوة المورافيين » وكانوا قوة دينية خطيرة الشأن في بوهيميا وبولاندا . وكاد هؤلاء « الاخوة » يفتنون في حرب الثلاثين سنة لولا ان من بقوا منهم لاذوا بسكسونيا . على انهم اضطهدوا هناك أيضاً فهاجر كثيرون منهم الى ولاية جورجيا في أميركا . واتصل بهم جون وسلي فأثروا عليه بساؤلكم فتنصر هو وأخوه تشارلس . وأصبح هذان الاثنان خير الرسل لتنصير الوثنيين . وقد اضمحل « الاخوة » في مورافيا تقريباً

كل المورافيين وعددهم ١٧٠٠٠٠٠ كاثوليك ما عدا ٤ بالمئة منهم . وهم شعب مجتهد نشيط ذكي مستنبط محب للحرية . ولم يكن ايقوله قرار تحت الحكم النمساوي الظالم

٣ - السلوفاك

يوجد السلوفاك بالاكثر في ولايات هنغاريا الجنوبية . ففي الشرق هم ممتزجون بالروثينيين وفي الغرب بالتشك . وهم شعب قديم مسلم . ليس لهم كنيسة وطنية ولم ينالوا استقلالاً حتى سنة ١٩١٨ . وقد توارثوا تقاليد قليلة ولكنهم توارثوا أغاني عديدة . وجميع أعيانهم مجريون

وكان التجار السلوفاك والطبقة الوسطى من هذا الشعب حتى المهد الأخير يودون ان يعدوا جرمانيين . ولكن عامة الشعب كانوا يقاومون فكرة السيادة الأجنبية . وبالرغم من التباين الكثير بينهم في أساليب كلامهم فهم يحبون لغتهم التي هي الرابط الوحيد لوحدتهم . أما المجريون فيعاملونهم باحتقار . وقد هاجر منهم كثيرون الى اميركا . وعددهم كاهم مليونان ونصف

في مدة الخمسين سنة الأخيرة حدثت عندهم نهضة عظيمة في التعليم والشعور ومن ثم لم يعودوا يرضون عن السيطرة الأجنبية بل اوجدوا لانفسهم ذاتية وطنية

الروثينيون

معنى هذه اللفظة روسيون وقد اطلقها النمساويون على رعاياهم من الروس الصغار وعددهم يربو على ٣ ملايين ونصف مليون في ولايتي غاليسيا وبوكوفينا اللتين اقتطعتهما النمسا من بولاندا . ويختلفون بعض الاختلاف عن الروسيين الصغار الذين في روسيا . وهم نحو نصف سكان غاليسيا حيث الاعيان بولنديون والطبقة الوسطى جرمان ويهود

ومع أنهم كاثوليك فانهم يتبعون الطقس الكهنسي السلافي حسب الطريقة الارثوذكسية الشرقية . وقد كانوا هادئين تحت الحكم النمساوي وعلى العموم قلما اظهروا عطفاً للتشك والسلوفاك او البولانديين . وهم بطبيعة الحال يؤاخذون اخوانهم الاقربين الاوكرانيين او الروس الصغار . وهم معروفون في الولايات المتحدة بالذكاء والفنون الصناعية

المجريون

المجريون هم العنصر المتسيد في هنغاريا ومؤسسو المملكة الهنغارية الحقيقية . وهم في الاصل من الفينو اوغريان Finno-Ugrian وقد ظهوروا في اوربا في القرن التاسع كقوم متشردين وسحقوا المملكة المولدافية وامتلكوا الصقع الذي يحتلونه الآن . وكانوا يزحفون من مركزهم هذا الى جميع انحاء اوربا ويفزونها حتى اصبحوا رعباً لها مدة ستين سنة واخيراً انكسروا شر كسرة في اوغسبورغ امام الامبراطور الجرمانى اوتو الاول وظهرت لهم عزلتهم بين عدد عديد من الاعداء المختلفي العناصر الذين هم ارقى مدنية منهم واقوى بطشاً

والظاهر ان بعض الاعتبارات السياسية قضت على زعمائهم ان يعتنقوا النصرانية وينتظموا في سلك الكنيسة الكاثوليكية . ثم ظهر فيهم بعض الملوك العقلاء فبسطوا ظل الامن في البلاد وجلبوا اليها مهاجرين كثيرين وجعلوا لهم في كثير من الاحوال امتيازات خاصة

والمجريون يعتبرون « القانون الذهبي » Golden Bull الذي منحه ستيفن الثاني بعد سبع سنين من صدور « اللأحة العظمى » Magna Charta (الانكليزية) اقدم الحقوق الدستورية في قارة اوربا . وهذا القانون يمنح البارونات امتيازات عديدة وخطيرة الشأن . وكان لهؤلاء البارونات غنى طائل وقوة وسؤدد حتى تحت سيطرة اقوى الملوك ولذلك دفعوا البلاد الى فوضى لا مثيل لها واستعبدوا عامة الشعب

ولم تحسن احوالهم العمومية بسبب المشاغبات الشديدة التي دفع « الاصلاح » (١) المجريين اليها وكان البروتستانت حينئذ متفوقين بينهم . واتفق في ذلك الزمان ان اميرة مجرية تزوجت ارشدوق نمساوي فارتقى الى العرش المجري آل هابسبورج وما لبث المجريون ان رأوا انفسهم ياملون كسائر الرعايا النمساويين

ولما صعب على اولئك القوم الذين تعودوا الامتيازات الخضوع للحكم الجديد ثاروا بزعماء زعيمهم لويس كوسوت . ولكنهم غلبوا على امرهم ولجأ زعمائهم الى تركيا . واتحدت روسيا مع النمسا في ارغام سلطان تركيا على خرق حقوق الضيافة

(١) يراد بالاصلاح هنا الحركة الاصلاحية الدينية التي قام بها لوتيروس ومن جذا حذوه بعده

وتسليم أولئك اللاتنيين به والسكنهما لم تبحا. وما زال المجريون يذكرون هذه الحسنة لتركيا. وفي الحرب الروسية العثمانية سنة ١٨٧٨ زار كثيرون من مندوبي المجر الاستانة لكي يثبتوا صداقتهم لآخواتهم في الدم أي الأتراك العثمانيين.

في سنة ١٩١٠ كان في هنغاريا أكثر من ١٠ ملايين مجري و ٥ ٣٨٠ ٠٠٠ سلافي مختلفي العناصر و ٢ ٩٤٩ ٠٠٠ روماني و ٢ ٠٣٧ ٠٠٠ جرمني و ٢٧٥ ٠٠٠ نوري Gypsies و ١٩٥ ٠٠٠ من عناصر مختلفة

وإذا القيت نظرة إلى الخريطة رأيت كيف أن العناصر المختلفة محيطة بالمجر من كل صوب. فمن الغرب الجرمان فضلاً عن أقوام كثيرة تقطن بين المجريين أنفسهم في أماكن مختلفة. ومن الشمال التشك والسلوفاك. ومن الشرق الرومانيون. ومن الجنوب اليوغوسلاف. فهؤلاء كالمغناطيس وكل عنصر منهم يجتذب عنصره من بين المجريين ومن تحت الحكم المجري

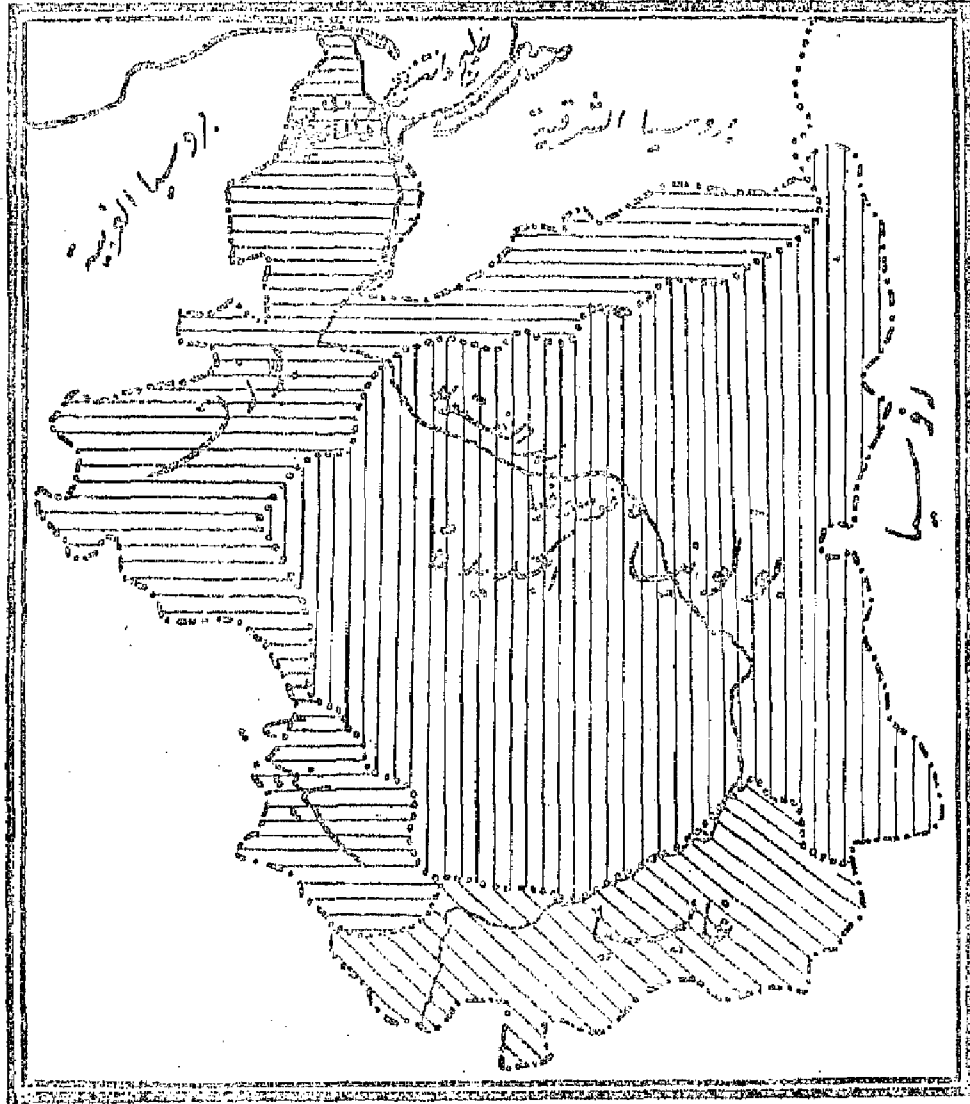
زد على ذلك أن نبلاء المجريين ملاك أراضٍ وقد تناقصت ثروتهم. وأما الجرمان واليهود فهم أصحاب الأعمال وأعمالهم مستغرقة طبقات العمال فالتجارة في أيديهم والصحافة في أيدي اليهود على الخصوص

البولنديون

البولنديون يعدون بعد الروسين (الذين كانوا على الدوام أعداءهم وخصومهم) أهم العناصر السلافية ولا سيما في العدد. وقد ظهروا في بولندا في أول الأمر في القرن الثاني عشر حيث وجدوا بعض القبائل السلافية الأخرى. وكان من حكمة ملوكهم أنهم حملوهم على التنصر

البولنديون متوسطو الأجسام مستديرو الرؤوس مثلثو الوجوه جيدو الصحة واللون الأشقر فيهم أغلب على الأسمر. ويظهر أن ملاحظهم تغيرت بعض التغير. والطبقات العاملة تبلغ نحو تسعة أعشار الأمة وهم نشيطون مجتهدون صبورون معتدلون غيورون للوطن. ونبلاؤهم شجعان إلى حد التهور متحمسون نفورون قيون أن بولندا في أول عهد تكوينها كانت مندمجة مع دولة اللتوانيين. واتحاد

البولنديين مع اللتوانيين ضاعف عدد السكان ومصادر الرزق أيضاً وكلا الشعبين سحقا الفرسان التوتونيين في تينبرج سنة ١٤١٠ ثم دفعوهم الى شرقي نهر فستولا بعد صلح ثورن . واستردوا الاراضي البولندية الواقعة على البلطيك واستردوا أيضاً دنزيغ ومارنبورج . ثم ان دوقية مازوفيا التي كانت وارسو مركزها وكانت مستقلة



خريطة بولونيا

الخطوط العمودية تشير الى القسم الروسي الاصل والافقية الى
القسم الالماني والمائلة الى القسم النمساوي

مدة خمسة قرون اتحدت مع بولندا واصبحت هذه بعد بضع سنين ممتدة من البلطيك الى البحر الاسود . ولما كان الاصلاح قد نشأ من اصل جرمني نظار البولنديون اليه نظرة الريية والشبهة

وموقع هذه المملكة وخواص شعبيها الفاتحة وارتقاؤها كل ذلك قرّر لها عظمتها وتفوقها

وكان التباين بين طبقتي النبلاء والعامّة يتزايد ويتسع فإن العامة كانوا يدفعون الضرائب كلها والنبلاء كانوا يملكون الثروة وفي يدهم القوة

أما نظام الحكومة فكان أوليفارشيّاً بكل معنى الكلمة أي أن السلطة كانت في يد عدد محدود من الأعيان والبلوغ إلى عرش الحكم بطريقة الاقتراع ولا فرق بين أن يكون المرشح وطنياً أو أجنبياً . على أن ذلك العرش كان بلا نفوذ ولا قوة . وما من انتخاب سالم من معرّة الرشوة فضلاً عن الشغب . وفي انتخابات عرض العرش في « سوق الدلالة » للمزايدة . وقد تقرّر نظام التصويت الحر سنة ١٦٥٢ وبموجبه كان يكفي صوت سلمي واحد في المجلس التشريعي لإلغاء أي قانون اجمع عليه الآخرون . وبسبب ذلك تفاقمت الفوضى حتى كادت تؤدي إلى سلامة بولاندا

وقد بلغ من جهالة هؤلاء الأعيان الذين في أيديهم زمام البلاد أنهم ارتكبوا أخطاء لا يغتفر وهو تجزئة البلاد في سني ١٧٧٣ و ١٧٩٣ و ١٧٩٥ وإعطاء أجزاء منها إلى كل من بروسيا وروسيا والنمسا . والآنكى أن التجزئة الأولى وافق عليها وأيدها المجلس التشريعي البولاندي الذي ارتشى كل أعضائه تقريباً

على أن مقاومة كوسيو سكو وبعض النبلاء وجامعة الشعب الساخط المتهيج - تلك المقاومة الشديدة التي جاءت متأخرة - جعلت سقوط المملكة مجيداً

وبسبب تلك التجزئة نالت روسيا ١٨١٠٠٠ ميل مربع من البلاد سكانها ٦ ملايين نسمة . ونالت النمسا ٤٥٠٠٠ ميل مربع ومليونين ونصف مليون من السكان . ونالت بروسيا ٥٧٠٠٠ ميل مربع ومليونين ونصف مليون من السكان

والبولانديون الذين انضموا إلى النمسا عوملوا معاملة حسنة ولا سيما لأنهم كاثوليك فلم يكن بينهم وبين أهالي البلاد تنافر في المبدأ الديني . وأما الذين انضموا إلى روسيا فقد احتملوا أشد الضغط والاضطهاد . وأما الذين انضموا إلى بروسيا فكانوا أشد أخوانهم معاناة ومقاساة تحت النير الجرمانى . لأن بروسيا بذلت جهدها في جعلهم جرمانيين وما وقفت عند حد في قساوتها

مع كل ذلك جادت بولاندا على العالم بفنائه الموسيقى والفنون والآداب .

فكوبرنيكوس الفلكي العظيم بولندي . وسينكيفكر الذي قتل في الحرب وعدّه
الكثيرون من فطاحل الكتاب كان بولندياً . وكذلك بدرسكي الموسيقي
ولما كانت بولاندا بين حجري رحي روسيا من جهة والمانيا من جهة أخرى
ومن احد جانبيها الجيش النمساوي فقد قاست في مدة الحرب العظمى عناء يفوق
حد التصور — قتل وسلب ونهب واحراق وتدمير

اليهود

ترى على قوس طيطس في رومة رسم جنود مكلمة باكليل الغار وحاملة شمعداناً
ذا سبعة فروع . فهذا الرسم يمثل الشمعدان الذهبي الذي أثار في أحد الازمان المكان
المقدس في هيكل اورشليم والذي نقله معه طيطس بعد انتصاره على اليهود سنة ٧٠
وكان اليهود قد تفرقوا الى كل مدينة من مدن الامبراطورية الرومانية ولكنهم
لم يهاجروا مهاجرة عمومية . فلما انتزع منهم مركزهم الديني شرعوا يهاجرون افواجا
الى اقاصي العالم

وبعد فتح طيطس بستان سنة حرثت ارض اورشليم كالبحرث الارض الزراعية
ومنع اليهود من ان يدوسوا ارضها منعاً باتاً تحت طائلة العقاب الشديد بل حظر عليهم
ذكر اسم تلك المدينة المقدسة . وجعل مكانها مستعمرة للرومان . وقد هلك عهدئذ
مئات الألوف في الحرب والمذابح والمجاعة . واصبح ذلك الشعب القديم وليس له
عاصمة ولا وطن ولا هيكل فتشتت بقاياه في كل انحاء المعمور

وقد عدت رومة حينئذ اليهود عنصراً متمرداً يجب سحقه . فلما سحقته
واصبح بلا حول ولا قوة اذنت لافراده ان يعيشوا ويعملوا . وفي الوقت نفسه ظهر
بينهم مار صموئيل وكتب للذين في المنفى او المشتتين يعظهم وينصح لهم بان يحسنوا
سلوكهم وتصرفهم . وعلمهم ان شريعة الحكومة اينما كانت وكيفما كانت هي الشريعة
التي يجب طاعتها . وان من واجباتهم الدينية ان يطاوعوا شريعة البلاد التي يقيمون
فيها وينحضعوا لها ما استطاعوا بل عليهم ان يصلوا لاجل سلام البلد الذي يقطنونه
وبناءً على هذه النصيحة جعل اليهود يكيفون انفسهم حسب مقتضيات الوطن

الذي يستوطنونه بقدر الامكان . هذا هو سر مرونة ذلك الشعب الذي يلتوي ولا ينكسر
والى هذه المرونة يعزو جزئاً المؤرخ اليهودي بقاء اليهودية في البلاد الاجنبية . وهي
التي مكنت اليهود من احتمال المصائب والبلايا التي لم تتعاقب على امة تساقبها عليهم
ولا يخفى انه في عصر الجهل والهمجية كان كل يهودي في نظر النصرانية
ملطخ اليد بدم المسيح . حتى انكر البمض ان المسيح وتلاميذه كانوا قبلاً يهوداً .
وباسم التقوى والغيرة الدينية كان يعامل اليهودي معاملة سيئة . بل ان الشرائع كانت
أظلم لهم من جماهير الشعوب . ويقال بالاجمال ان الظلم والاضطهاد والهوان كان نصيبهم
من عهد قسطنطين حتى العصر الحديث ويستثنى من ذلك ازمة وامكنة نادرة .
واما القوانين الاسلامية فكانت ملغطة لهم ولهذا أمكنهم ان يقاسموا المسلمين
في اسبانيا رقيهم ونجاحهم الى ان انقضى ذلك العهد

ينص التقويم اليهودي السنوي على ان عدد اليهود في اوربا ١٠ ملايين (اكثرهم
في روسيا) وفي الولايات المتحدة ٣ ملايين ومليون في سائر انحاء العالم
واما وفرة عددهم في روسيا فيرجع الى عهد كازيمير الكبير الملك البولندي .
وذلك لان استير اليهودية حبيبة كازيمير استعظفت الملك على شعبها الذي احبته فتح
هذا الملك بواندا موطناً لليهود . فبا اليهود ولا سيما في القسم البولندي الذي امتلكته
روسيا

والظاهر ان الاحن التي تعاقبت على اليهود شددت تنصبتهم لجنسيتهم وقوت
فيهم روح الرقي . فما من نبوغ سياسي او مالي او علمي او شعري او فني او ادبي
الا كان لبني اسرائيل وبناته القمح المملئ فيه

النور أو الفجر

وجد هؤلاء القوم اولاً في بلاد اليونان والجزر اليونانية في القرن الرابع عشر
وما من خبر اكيد عن اصلهم وكيفية وصولهم الى هذه البلاد . وبعد ذلك جعلوا
يطوفون في شبه جزيرة البلقان من غير ان يستقروا في مكان
وفي سنة ١٤١٧ ظهروا في غربي اوربا وفي ايديهم جواز مرور لقبوا
باسم « تسيفاني » موقع بامضاء سيجيسموند ملك هنغاريا يؤذن فيه لهم ان يذ

في املا كه حيثما شاءوا ويأمر رعاياه ان يلاطفوهم ويغنيهم ان يتدخلوا بشؤونهم . وبعد زمن غير طويل كانت زمره منهم تطوف في ايطاليا وفرنسا والجزر البريطانية وقد ظن الانكليز انهم مصريون في الاصل فسموهم Gypsies وسموهم الافرنسيون بوهيميين لظنهم انهم قادمون من بوهيميا . واما هم فسموا انفسهم روم Rom ويظن ان معناها « رجل » ومن جملة اسماء العديدة هاجارين Hagarenes (ولعلها لفظة « غجر » نفسها) ومعناها اولاد هاجر

وقد سنت بعض الشرائع لايقاف تشردهم عند حد او المنع . ولذلك سكن بعضهم في بيوت ولكنهم ما زالوا يتجولون . ولما كانوا يوجدون في كل جهة تقريباً تعذر احصاؤهم . والارجح انه لا يوجد منهم في اوربا اكثر من ٧٠٠ ٠٠٠ ثلاثة ارباعهم في هنغاريا ورومانيا والبلقان حيث يتمتعون بحقوق الشعب المدنية تماماً . ولما لم يكن لهم وطن ولا تقاليد ولا ديانة خاصة بهم تراهم ينتسبون الى اقرب الاوطان والاديان لهم النور هيف القامات سود الشعور وهي حرية اللباس وعيونهم كبيرة سوداء براقة واسنانهم منظمة وملاحهم وضاء ونسائهم شيء من الجمال . ولهم شأن معروف في الرقص والموسيقى حتى ان ليسزت Liszt الموسيقي الشهير يعزو اليهم أصل الموسيقى الهنغارية الوطنية . وكثير من الاغاني العامية الرومانية والسربية والبلغارية مقتبسة من الاطنان النورية

واهم ما بهم القارئ من النور لغتهم الغربية . ففي آخر القرن الثامن عشر بحث ثلاثة من علماء اللغات في اصل هذه اللغة من غير علم واحد بالآخر فوجد كل منهم انها من الطائفة الاوربية الهندية ولا يتكلم بها احد غيرهم وليس لها مخطوطات ولا كتب البتة . وبالرغم مما طرأ عليها من الفساد لم تزل حافظة لاصلها

الجرمان - الالمان

الجرمان الاصليون قطنوا البلاد الجرمانية التي يقطنونها الآن من قبل التاريخ المسيحي . ومع انهم استغرقوا في انفسهم كثيراً من العناصر السلافية فلا يزالون أقل امتزاجاً بالعناصر الاجنبية من الطليان والافرنسييس

يبلغ سكان الامبراطورية الجرمانية بحسب الاحصاء الاخير ٦٤ ٩٢٦ ٠٠٠ من
 جملتهم ١ ٨٧٠ ٠٠٠ في الالزاس واللورين و ١ ٢٦٠ ٠٠٠ غرباء و ٣ ٥٠٠ ٠٠٠
 سلاف ومعظمهم بولانديون . فاذا طرحنا كل هؤلاء من المجموع بقي ٥٨٠ ٠٠٠ ٠٠٠
 جرمني في الامبراطورية . ومجاورهم في النمسا نحو ١٠ ملايين جرمني وفي لكسمبرج
 وليختنشتين نحو ٣٠٠ ٠٠٠ فيكون مجموع الجرمن في وسط أوروبا نحو ٢٠ مليوناً
 والفرق بين الجرمن المواطنين أي سكان الاراضي الواطئة والجرمن المرتفعين
 أي سكان الاراضي المرتفعة الى الجنب هو انما هو في اللغة وأساليب التعبير فقط
 والتزاوج المحلي عند الجرمن اكثر منه عند سائر أمم أوروبا أي ان الذين
 يتزوجون من خارج بلادهم أو مندمهم قليلون . ولذلك تمت فيهم أخلاق وشرائع
 خاصة كالرضى بالنفس وحب التفوق على سائر الأمم وعدم الاهلية للاستعمار . ومع
 انهم أحسنوا الاستعمار تحت رايات غيرهم فتحت راياتهم فشلوا فيه وخابوا
 وبالرغم من بذل حكومتهم جهدها في حملهم على المهاجرة الى المستعمرات
 الجرمانية كانوا يمتنعون عن المهاجرة الا كموظفين أو جنود . ففي سنة ١٩١٤ لم
 يكن في الاملاك الجرمانية التي تربو مساحتها على مليون ميل مربع اكثر من ٢٥
 الف من البيض جرمناً وغير جرمن . زد على ذلك ان معاملة الجرمن للاهالي
 الوطنيين كانت قاسية وعاتية وغير منطبقة على مبادئ الانسانية
 ومع ذلك قد هاجر منهم كثيرون الى جميع انحاء المعمور . ففي الولايات المتحدة
 اكثر من مليونين ونصف مليون جرمني مولود في المانيا ومعظمهم متجنسون
 بالجنسية الاميركية وموالون لها واكثر من مليونين في هنغاريا ومليون ونصف في
 روسيا وفي جنوبي اميركا نحو نصف مليون

في سنة ١٩١٤ كانت البيوت المملوكة في معظم املاك أوروبا جرمانية أو من أصل
 جرمني وهي : النمسا والمجر وبلجيكا وبلغاريا وفرنسا والامبراطورية الجرمانية
 وكل مملكة من ممالك الخمسة والعشرين (ما عدا اسرتي مكلنبورج السلافيين)
 وبريطانيا العظمى واليونان وهولندا وليختنشتين ولوكسمبورج ونرويج ورومانيا
 وروسيا وأسوج . والبيت الملكي في بريطانيا العظمى مع كونه « توكاز » من عهد طويل
 ما زال يلقب بلقبه الجرمني القديم وهو « بيت سكسمبورج وجوتا » الى ان أبدل

سنة ١٩١٧ بلقب « بيت ويندسور »

بقيت لفظة جرمان حتى سنة ١٨٧١ عبارة جغرافية او سلالية لا شعبية . فلم يكن ثمة أمة جرمانية حقيقية . بل كان يوجد عدد عديد من الجماعات (او الوحدات) السياسية من ممالك ودوقيات ومدن حرة بعضها متحد مع بعض اتحاداً غير وثيق وبعضها غير متحد وبعضها كان ضد بعض في الحروب الاوربية المختلفة . وقد تناقص عدد هذه الوحدات الى ان أصبح أخيراً ٣٥ وحدة (مملكة) وفي الحرب السبعينية انضمت هذه الممالك لأول مرة وغلبت فرنسا

وقد اعلنت الامبراطورية الجرمانية في ١٨ يناير سنة ١٨٧١ في قصر لويس الرابع عشر في فارسايل (فرنسا) وبذلك تم الاتحاد الجرمانى . وفي ١٦ ابريل منحت ملوك الممالك الجرمانية الخمسة الكبرى تلك الامبراطورية دستوراً لم يكن للشعب رأي في سنه . وقد جعل هذا الدستور لبروسيا وملكها الهوهنزولرنى السيادة على سائر الممالك والملوك الجرمان

واهم الاقوام الجرمانية : البروسيون والبافارليون والسكسونيون وقد كانت المدن الثلاث الحرة : لوبك وهمبرغ وبريمن اهم انعوامل في اقتشار النفوذ الجرمانى في العصور الوسطى . فقد ضمت هذه المدن الى نفسها تسعين مدينة من المدن التجارية بين الرين ونوفغورود بغية التعاون في حماية انفسها . وقد سمي هذا الاتحاد « الاتحاد الهنسياتى » او « اتحاد النقابات » League of Guilds وبقي اكثر من ٤٠٠ سنة منذ سنة ١٢٤١ يحمي حقوق التجارة والصناعة فكان ذا شأن خطير في شمالي اوربا . وفي اوقات السلم كانت مصالح و منافع لوبك وهمبرغ وبريمن عظيمة جداً . واهاليها ديمقراطيون في شعورهم ونفورون بتقاليد الحكم الذاتى

١ - السكسونيون

السكسونيون تيوتونيون بقليل من المزيج السلافي . وهم يقطنون اخصب بقعة في البلاد الجرمانية . وكانوا قبلاً مشهورين في روحهم الاستقلالية . وقد حاربوا شارلمان بعناد مدة ٣٣ سنة . واخيراً قهرهم شارلمان ونصرهم . وفي القرن التاسع عشر تقدموا شوطاً بعيداً في الحرية الدستورية الى ان احتل البروسيون بلادهم سنة

١٨٦٦ . وهم يعدون في صف الشعوب الراقية في أوروبا ، وعاصمتهم درسدن هي مركز الفنون والصناعة . أكثر من ٩٥ بالمئة منهم بروتستانت

٢ — البافاريون

البافاريون أكثر الشعوب الجرمانية مزجاً أي أنهم مزيج من السلاف « المجرمين » والقلتيين الذين استوطنوا البلاد قديماً ومن قومي الماركوماني والكوادري التيوتونيين - فهم من سلالة هؤلاء الاقوام جميعاً . والقومان الاخيران قدما الى البلاد من الشرق . وكانوا يسمون بافاريا Baivarii

وهم يسكنون في ارض واسعة هلالية الشكل تشبه « الامفيتياتر » طولها ٢٢٠ ميلاً وعرضها ١١٠ أميال تحيط بها جبال مرتفعة . وما من بلاد في اجرمانيا محددة بمحدود طبيعية كحدودها . ولهذا اختص البافاريون بخواص ليست لغيرهم . فمن الناحية الطبيعية هم سر دقاق الهياكل العظمية واقل صلابة من سائر اخوانهم الجرمان . وهم محافظون متدينون ليسو العريكة والشعب وملوكه يعنون بالموسيقى والروايات التمثيلية . وعاصمتهم مونيخ هي دار الفنون

وكان البافاريون دائماً اعداء البروسيين . وما خضعوا للسيطرة البروسية سنة ١٨٦٦ الا بالرغم منهم . والخلاف الديني بين الفريقين وسع شقة العداء بينهما فان معظم البافاريين كاثوليك (وعددهم نحو ٦ ملايين)

٣ — البروسيون

اسم البروسيين مشتق من بوروسي Borossi اسم الشعب الذي تسلسلوا منه . وهو شعب شرس كبير العظم قريب اللثوانيين واللتيين كان في الجيل العاشر يقطن في الاراضي الواطئة بين أنهر الاورد و فستولا ونين . ولما أوشك هؤلاء القوم أن يفتنوا امام الفرسان التيوتونيين طلبت البقية الباقية منهم توسط بولاندا فضمت هذه اليها من كان منهم غربي الفستولا . وفي سنة ١٥٢٥ أعلن البرت الهوهنزولرني زعيم الفرسان الاكبر اعتناقه البروتستنتية وقدم املاكه لملك بولاندا . وهذا جعل بروسيا دوقية وعينه غرندوقاً لها . وفي أول القرن الثامن عشر اشترى أحد أحفاده

الابمدين فريدريك لقب ملك من الامبراطور ثمن غالٍ وتوج نفسه ملكاً لبروسيا في كونيغسبورج مسقط رأسه باحتفال عظيم في ١٨ يناير سنة ١٧٠١.
ومع ان البروسيين « تجرمونوا » تماماً فانهم يختلفون عن الجرمان الآخرين وهؤلاء لا يحبونهم ولا يشقون بهم . يقول تريتشك Treitschke « ان بروسيا كانت منذ نشوئها مكرهة الجرمانيين الآخرين » وجوثر Goethe كتب « ان البروسيين كانوا دائماً همجاً وقساء والتمدن يجعلهم شرسين » . وقد اظهر البروسيون دائماً سجايا واخلاقاً غريبة يرجح انهم ورثوها من اسلافهم الفرسان العتاة قوم بوروسي الشرسين ولما تبوأ فريدريك العرش البروسي كانت سعة مملكته ٤٠ الف ميل مربع وكان عدد سكانها مليوناً ونصفاً . ومنذ سنة كانت مساحة بروسيا ١٤٠ الف ميل مربع وعدد سكانها ٤٠ مليوناً

٤ — القبائل السلافية في جرمانيا

ان القبائل السلافية التي انتشرت سابقاً في كل جرمانيا حتى بلغت الى الالب اندغمت اندغاماً تاماً في الشعب الجرمانى . وقبائل البولاب التي كانت في تلك الازمان عديدة كانت آخر من اندغم وتلاشى في الجرمانية . والتاحية التي في غربي هنوفر حيث كانت لغتهم لا تزال منتشرة حتى القرن السابع عشر تدعى وند Wend الى اليوم وفي لوساتيا Lusatia (الاسم مشتق من لوسيتزي Lusitzi اسم لقبيلة سلافية) التي تخص الآن سكسونيا وبروسيا يوجد نحو ١٢٠٠ الف وندى اوسوربي (Sorbs) . وفي اخرج الاوقات بقي هؤلاء القوم ، مصرين على استعمال لغتهم وممارسة عاداتهم في وسط الشعب الجرمانى الذي يبيع ثمانية اضعافهم عدداً . ومع ان العالم نسي ذكرهم وأصبح أمرهم غفلاً لا يهتمونهم تجرمنوا رويداً رويداً نهضوا نهضة جنسية حية داهشة في اوائل القرن الـ ١٩ . سعى عشر . وقد عوملوا في بروسيا اسوأ معاملة ولكنهم نجحوا في سكسونيا . حيث بعد عاصمتهم بوتزن من ارقى المدن ولغتهم متوسطة بين البولندية والنش

السكندينافيون

السكندينافيون - وهم الدانيون (الدانمركيون) والنرويجيون والاسويجيون - من الشعوب التيوتونية وهم متقاربون في السلالة والتاريخ بحيث يتعذر البحث في أحوال كل منهم على حدة . وكلمة سكندينايا مجهولة الاصل والمعنى وإنما استعملت منذ زمن طويل لهؤلاء الشعوب جميعاً

وقد كانت شبه الجزيرة السكندينافية موطناً لشعوب مختلفة اكتسحت أوروبا . فمن أسوج جاء قوم القوت Goths الى جرمانيا وروسيا الجنوبية ومن هناك الى ايطاليا واسبانيا وتركوا اسمهم في كل مكان . من نروج التي ازدهت بالسكان انتشرت امواج المهاجرة الى سهول الرين والالب حتى لقد استوطنوا الاوقيانوس فانتشروا فيه قرصاناً يغزون البلاد وينهبون ويحرقون ويختطفون البشر . وبقوا نحو قرنين لعنة جزر بريطانيا وفرنسا . ثم جعلوا يستقرون في البلاد التي كانوا يغزونها وصاروا هم انفسهم يقاومون القرصان الذين جاؤوا بعدهم

وقد ورث النرويجيون من اسلافهم الشجاعة والاقدام في سلك البحار اللهم من غير بربرية القرصنة وفضائعتها . وفي سنة ١٩١٣ كان لهم في البحر من السفن اكثر من جميع أمم العالم ما عدا انكلترا وأميركا والمانيا . وقد هاجر منهم كثيرون الى أميركا حيث هم على الرحب والسعة

وفي سنة ١٨٦٤ اخذت بروسيا ولايتي شلسويج وهولشتين من الدانمرك . فامتلكت اكثر من سبعة آلاف ميل مربع ومليون ونصف نفس وكان في مملكة دانمرك سنة ١٩١٨ نحو ٣ ملايين من السكان . ودانمرك تمتلك أيضاً جرينلاند وايسلاند . وفي سنة ١٩١٠ كان عدد سكان نروج ٢ ٤٠٠ ٠٠٠ وفي سنة ١٩١٦ كان سكان أسوج ٥ ٧٥٨ ٠٠٠

ومعظم السكندينافين شقر الشعور زرق العيون صبحو الوجوه طوال الرؤوس . وعلى العموم النرويجيون والدانيون او الدانمركيون ديموقراطيون والاسويجيون أقل ديموقراطية من القومين

وقد توطدت النصرانية في هذه الامم الثلاث منذ القرن السابع بالرغم من

الدنش أو الهولنديون

مقاومة الاهالي . وكلهم بروستانت

وكان للسكندنافيين القدماء جميعاً لغة واحدة تعرف بلغة الدونش ويسمونها النروجيون نورسك . وقد أتى بها النروجيون الذين احتلوا ايسلاند في القرن العاشر . وبعد ٤ قرون أدخلت الملكة مرغريت اللغة الدانمركية او الدانية (Danish) الى نروج . والآن لم يعد يستعمل لغة نورسك او نورس الا الفلاحون . وأما في ايسلاند فاللغة القديمة عاشت الى اليوم بحجة كما كانت

واللغة الدانمركية اذا لفظت بلهجة نروجية شديدة يفهمها الاسوجي . كذلك اللغة الاسوجية يفهمها الدانمركيون ولكن بصعوبة

ثور والدسون صانع التماثيل النابغة المشهور ، وهانس كرستيان اندرسون مؤلف القصص الخرافية المشهورة كانا دانمركيين . وأولي تل الموسيقي الكمنجائي ، ونانسن الجوّابة المستكشف ، واموندسن ، مكتشف القطب الجنوبي نروجيون . وفريدريكا برمر المؤلفة ، وجني لند بلبل اسوج ، ولينوس ابو علم النبات اسوجيون ومع ان هذه الامم الثلاث كانت تحت حكم ملك واحد كانت احياناً تحارب بعضها بعضاً . وأما نروج فعلى العموم من حزب دنمرك . والآن الثلاثة على غير وئام

الدنش أو الهولنديون

كان هذا الاسم « دنش » يطلق سابقاً على كل انجرمانيين وانما الآن يستعمل (باللغة الانكليزية) لشعب هولاندا ولغته فقط

بلاد الدنش اوطاً من البحر وقد صدوا امواجه عنها بسدود بنوها على شواطئهم . وفي القرن السادس عشر قهروا فيليب الثاني ملك اسبانيا وهو في ابارت صولته . وفي القرن السابع عشر صدوا مطامح لويس الرابع عشر ونازعوا انكلترا السيادة على البحار . فهذه القهال العظيمة على قلة عدد هؤلاء النجوم استلقت انظار اوربا وحسب الاوربيون للدنش حساباً

وهم اول شعب فتح صدر بلاده للقارين او المطرودين من البلاد الاخرى عقاباً لحرية ضمائرهم وافكارهم . فكان هؤلاء المطرودون او الفارون يلجأون الى امستردام وروتردام كما صاروا يلجأون الان الى لندن وجنيف وغيرها . واجداد

الأمريكان الذين هاجروا الى اميركا اولاً فروا من وجه الاضطهاد في بلادهم ولجأوا الى نذرلند (وكانت تضم هولاندا وبلجيكا) حيث قضوا ١٢ سنة قبل ان ركبوا السفينة « ماي فلور » الى العالم الجديد

والحرب الطويلة التي احتدمت بينهم وبين فيليب الثاني الاسباني قوت اخلاق هذا الشعب وسجاياء . ولما كانت الجهات الشمالية زراعية واهلها بروتستانت يتكلمون اللغة الفلمنكية Flemish او الفريزيانية Frisian والجهات الجنوبية صناعية واهلها كاثوليك ومعظمهم يتكلمون الفرنسية - فهذا التباين افضى الى انفصال تلك الجهات بعضها عن بعض . فالشمالية منها اصبحت ولايات هولاندا والجنوبية بقيت تحت حكم اسبانيا او اوستريا حتى شبت الثورة الفرنسية . وبعد سقوط نابليون ضمت هولاندا وبلجيكا معاً ولكن هذه لم تلبث ان انفصلت واستقلت في سنة ١٨٣٠

في سنة ١٩١٦ كان الدتش نحو ٦٦٠٠٠٠٠ نفس . ولا يزال العنصر الفريزياني قوياً في الشمال مع انه اندغم بعض الاندغام في العنصر الدتشي المتغلب . وبالرغم من تدفق المهاجرين الاجانب الى البلاد لا يزال الشعب محافظاً على خواصه الجنسية ولم يتكيف الا قليلاً . وهيجو جروتويس ابو القانون الدولي وايراسموس النابغة كاتا هولنديين

ولا هل نذرلاند نصيب كبير في الاكتشاف وفي استيطان العالم الجديد . فقد بقيت ولاية نيويورك عهداً طويلاً واسمها ولاية نذرلند الجديدة . وكانت مدينة نيويورك تدعى نيو امستردام . وكان للنفوذ الدتشي شأن كبير في تكييف القوانين الاسبانية السياسية في اميركا . وكان رئيسان من رؤساء الولايات المتحدة الاميركية من سلالة هولاندية

السويسميون

ان البحث في سكان سويسرا الحاليين ألد من البحث في قضية اسلافهم الاقدمين التي لم تتحل لشدة غموضها . فهم سلالة الهلثيتيين القلتيين الذين صبغوا بالصبغة اللاتينية ، وسلالة الاليماني الحزبين الذين قذفوا الى جبالهم من الشمال ، وسلالة البرغنديين الذين قدموا من الغرب بعد ان طافوا في فرنسا ، وسلالة الريتين Rhaetia في الشرق ، وسلالة الايطاليين الفارين من الجنوب

والبلاد السويسرية كانت قبل سنة ١٣٠٠ مؤلفة من ثلاث مقاطعات فاصبحت عشرة حوالي سنة ١٥٠٠ وكلها في وادي الآر والآن أصبحت ٢٢ مقاطعة . وكانت فالي ونيوشاتل وجنيف آخر ما أضيف الى هذه المملكة الصغيرة سنة ١٨١٨ ٤٧ بالمئة من السكان بروتستانت و ٤٢ بالمئة كاثوليك و ٧٠ بالمئة يتكلمون الجرمانية (الالمانية) و ٢٢ بالمئة يتكلمون الفرنسية ونحو ٧ بالمئة يتكلمون الطليانية . وفي مقاطعة جريسون فقط تسمع لغة « لادين » Ladin وهي اخت الفرنسية والطليانية . والالمانية والطليانية والفرنساوية لغات البلاد الرسمية . يبلغ عدد السكان ٣ ٨٨٠ ٠٠٠ منهم ٥٥٠ ٠٠٠ غرباء

ولم يكن من السهل التوفيق بين الحقوق والمصالح الشخصية والجنسية والمحلية ولهذا قضى السويسيون السبعين سنة الاخيرة في شقاق وخصام وحروب ولكنهم وصلوا اخيراً الى الغرض المجيد وهو الاتحاد التام وولايتهم الاثنتان والعشرون تختلف احداها عن الاخريات في كل شيء تقريباً - في الدين والسياسة والاجتماع والصناعة واللغة ولكنها كلها متحالفة في جمهورية واحدة تدبر أمور الجميع وتصون حقوق الافراد على السواء

الطليان

من عجائب التاريخ البشري الجنس الطلياني الذي مرَّ عليه ألفا سنة وهو يبرز الى العالم النوابغ المبرزين من مخترعين وموسيقين ومؤلفين الى غيرهم ممن اقادوا سائر الشعوب فوائد جمة

والطليان كالا ميركان مزيج من عناصر مختلفة . وما من بلاد في اوربا مثل ايطاليا امتزجت العناصر الاجنبية في اهلها حتى نشأت منها امة جديدة . وقد توالى هذا الامتزاج في رومه منذ كانت هذه المدينة لا تشغل غير راية بالاتين الى أن أصبحت مركز امبراطورية العالم

والطليان هم من سلالة اهالي رومة الاقدمين . على انه قد اختلط بهؤلاء اقوام اخرى . وفي زمن المسيح كان كثيرون من سكان ايطاليا ارقاء وكان أولئك الارقاء

أقوى وأصح وأكفأ سائر الشعوب التي أخضعها الرومان وقد كانت الفاتح الروماني كنبوخذ نصر في اورشليم يختار الرجال الأقوياء ويسترقهم ويترك وراءه الضعفاء والفقراء . وقد مرت قرون على رومة واساتذة مدارسها أرقاء . وكلما غزا البلاد قوم من جهة الشمال كانوا يتركون فيها منهم أناساً يتوطنونها . وقد غزيت البلاد مراراً عديدة . وقد ظلت إيطاليا في القرون الوسطى تحت النفوذ الأجنبي وسيطرة الأعراب ولم يتح لها إلا أخيراً الحصول على الحكم الذاتي

ومع ذلك ينما كانت إيطاليا تترنح بين الاستبداد والفسوضية فقد كومت اجمل اللغات الحديثة وجمت كبراً من الآداب والفنون لا يمتن . ناهيك عن انها جعلت العالم مديناً لها بالاختراعات والاكتشافات الفائقة القيمة وبما حبت من المنافع للانسانية عموماً والعالم اجمع

ان المرء ليشفق ان يقتصر على ذكر اسماء نفر قليل من نوابغ الطليان العظماء لانه يتعذر اختيار عدد معين من هؤلاء الاعلام الافذاذ والنوابغ الافراد . وما من قسم من اقسام المعارف البشرية الا احرزت ايطاليا فيه مجداً وفخراً . وما من فن الا زاته ايطاليا وزخرفته . فن نوابغها : فرجيل وماركوس ودنتي وطاسو وكولومبوس ورافائيل وميكلائيلو ودافينشي وغاليو وكانوفا وتوريسيلي وكاشاني وفولتا وماركوني

وفي سنة ١٨٧٠ تحققت احلام ايطاليا التي تقادم تعهدتها وتوالى فشلها وذلك بتوحد اجزائها مرة اخرى في التاريخ . ومن ثم عاشت في ظل نظام دستوري يشبه نظام انكلترا اكثر من نظام أي بلاد في أوروبا

كان في ايطاليا سنة ١٩١٧ نحو ٣٧ مليون نسمة ومساحتها تربو على ١١٠ ٠٠٠ ميل مربع . وقد افضت الاحوال التاريخية المختلفة الى عدة فروق في اساليب الكلام ولهجة اللغة ومع ذلك فان هذه الفروق تتلاشى تدريجاً . واتقى اساليب الطليانية لغة فلورانس

سيسيليا (صقلية) وسردينيا جزيرتان تابعتان لاطاليا وهما متساويتان حجماً تقريباً كل منهما نحو ١٠ ٠٠٠ ميل مربع وسكان صقلية نحو ٣ ملايين نسمة

وسكان سردينيا فخورين بهذا العدد . وجزيرة كورسيكا التي تعد الآن جزءاً من فرنسا ايطالية الاصل من القديم وهي في السلالة واللغة اشبه لايطاليا من سيسيليا وقد تعاقب على كورسيكا هذه عدد عديد من الغزوات وتولى عليها حكام مختلفون وفي سردينيا التي لم تغز كثيراً مزيج قليل من الدم الاجني . والسردينيون انهم الطليان قدامت . ولهذا استنتج سرجي انهم سلالة جنس قديم من الاقزام من وسط افريقيا

وقد كانت هذه الجزر الثلاث قديماً مستعمرات اغريقية ولهذا يزعم الاغريق الآن ان البونابرتيين من اصل اغريقي وكانوا أولاً يدعون كالياريدا وهو لفظ يوناني معناه بونابرت بالطليانية

وجميع سكان هذه الجزر الآن عتلاء حازمون لطفاء محاملون أعزّة نفودون وعندهم للشرف معنى سام جداً . واجسامهم قوية على احتمال المشاق

المالطيون

قبل نشوء الاغريق والرومان كانت اللغة الفينيقية متسيدة في البحر المتوسط . ولكن ما لبثت هذه اللغة ان تلاشت لقاء اللغات الاخرى في جميع المستعمرات الفينيقية ما عدا واحدة وهي مالطا التي وان كانت الآن مستعمرة انكليزية لاتزال كما كان يدسوها ديودوروس سيكولوس الذي عاش في زمن المسيح « مستعمرة للفينيقيين »

سبع المالطين يفهمون الايطالية التي هي لغة المحاكم وعشرهم يقدرّون ان يتكلموا الانكليزية التي اخذت زحاداً انتشاراً هناك . على انهم كلهم جميعاً يتكلمون اللغة المالطية التي كان يظن انها لغة عربية افسدها ما دخل عليها من الطليانية . واما الان فلم تعد تعدّ عربية الاصل مطلقاً بل فينيقية . وبقاء هذه اللغة القديمة التي انقرضت من كل مكان آخر عظيم الاهمية من الوجهة التاريخية

كان سكان الجزر الثلاثة - مالطة وجوزو وكومينو - في سنة ١٩١٧ نحو ٢٢٣.٠٠٠ ومع ان الاعيان نورمان او طليان او اسبانيون قلما تأثرت طبيعة الاهالي من هذا النفوذ الاجني . وهم متناسبو الاعضاء وضاحو الملايح وجذابو الحاسن واكثر

اشراقاً من ايطالي الجنوب . وهم مجتهدون نشيطون متعلقون بهيلاتهم ومتمسكون بالكنائس

وهذه الجزر صخرية قليلة الريع لا تفي بعيلة اهلها ولهذا يضطرون ان يهاجروا الى الشرق للارتزاق . وهم يدعون ان هنيبال ولد في مالطا

سلاسل شبه جزيرة ايبيريا

يتعذر على علم الجغرافيا ان يعمل وجود شعبيين متجاورين كاسبانيا والبورثغال كل منهما مستقل عن الآخر مع كونهما متشابهين في كثير من الاعتبارات ولا وجه ظاهر يدعو الى انفصالهما . فان الطبيعة قد جمعت البقعة الواقعة بين جبال البيرينيه وجبل طارق وبين البحر المتوسط والاتلانتيك وحدة وطنية لشعب واحد . فليس في هذه البقعة فواصل تستدعي وجود هذين الشعبين بل ان سلاسل الجبال مشتركة بين الفريقين ومهاد الاودية ممتدة بينهما ومجري الانهر تخرق كليهما . فكان الطبيعة تربطهما معاً بربطة مشتركة بينهما . ومع ذلك فقد لعب كل من هذين الشعبين دوراً خطيراً في العالم يستلزم البحث في كل منهما على حدة . ولكن قبل كل شيء يجب ان نرى ماذا اورث شبه الجزيرة هذين الشعبين من المزايا المشتركة

يظهر ان الايبيريين (Iberi) والسلتيريين (Cletiberi) القدماء رحبوا بالتجار والمستعمرين الفينيقيين واليونان والقرطاجنيين بعدهم على السواء . وبعد ذلك حدث انهم جعلوا يقاومون الاعتداء الروماني ولكن بلا فائدة . ولما جعل الغزاة الثيوتون يتدفقون على البلاد ويطوقونها باساطيلهم وجدوا هناك شعباً مصبوغاً بالصبغة اللاتينية متمتعاً بدين رومه المسيحي . فالسويثيون Suevi استقروا في الزاوية الغربية بين خليج بسكاي والاقويانوس . والگندال استقروا في الشواطىء الجنوبية . والفيزي-قوت Visi-Goths احتلوا بقية البلاد حتى اجتازوا جبال البيرينيه الى اللوار في فرنسا لغة الاسبان والبرتوغاليين وحياتهم واخلاقهم انما هي نتيجة تطورهما التاريخي . على انه لم يكن بين الفريقين تباين ظاهر الى ما بعد غزوات العرب . وقد بدئت هذه الغزوات سنة ٧١٠ واجتاحت كل شبه الجزيرة . ومع ان مقاومة النصارى كانت مخوفة بالفشل والقنوط فانها لم تفر قط الى ان خرج العرب من تلك البلاد

١ - البرتوغاليون

يعزو الشعراء البرتوغاليون تكون لغتهم وشعبهم الى قوم لوسيتاني Lusitani الذين كانوا يحتلون غربي شبه الجزيرة الى الشمال وهناك ثبتوا لدى هجمات الرومان الشديدة . ومن ثم اطلق على تلك البلاد اسم لوسيتاني وهو اسمها الشعري في اللاتينية وقد ولدت بورتغال في حوض ميدان القتال في عصر الفروسية . فان الحروب التي شبت ضد العرب الفاتحين جذبت معظم فرسان النصرانية ومنهم هنري قارس بورجندي الذي لا يقل عن «السيد» شجاعة وشهامة . فكافاه الفونسو دي كاستيل على شجاعته باعطائه يد ابنته وجعله كونت بورتوس كال على نهر الدورو . وفي سنة ١١٣٩ قهر الفونسو ابن هنري العرب في اوريك وكسرههم شر كسرة . فسكر جنوده بخمرة النصر ونادوا به ملكاً على بورتوس كال التي هي الآن برتوغال على ان هنري رفض التاج المقدم من يد الجنود وخدم فعقد مجلساً عاماً لتقرير الأمر . وكان ذلك المجلس غريباً في بابه لذلك العهد لانه كان اول مجلس في تاريخ اوروبا اجتمع فيه نواب عامة الشعب وجلسوا فيه الى جنب الكهنة والنبلاء . وقد قر قراره على تعيين هنري ملكاً على البلاد

وما برح البرتوغاليون رجالاً حريين نخورين . وتلك الروح التي بسدت في ذلك المجلس الديمقراطي الاول لم تمت حتى حين كانت تتراءى كسفة . فتلك الروح الحية هي التي جعلت البرتوغال في القرن الخامس عشر الدولة الاولى البحرية والتجارية والاستعمارية . وهي التي ارسلت دياز وداغاما ومجلان يخوضون البحار حتى ثبت لهم من جراء مخر الاوقيانوسات ان الارض كروية الشكل . وهذه الروح نفسها اوقدت جذوة النخوة في صدور البرتوغاليين لكي يقوموا بنصيبهم من الحرب في معارك اوربا وبشاطروا العالم التضحية والنصر

ومن مشاهير كتاب البرتوغاليين كاموينس . فهذا الكاتب البليغ هذب اللغة البرتغالية حتى اصبحت اللغة الكتابية فيها تدعى اسلوب كاموينس

٢ - الأسبان

ظلت الاندلس تحت حكم العرب نحو ٨٠٠ سنة . وما من شعب قامى الخضوع للاجنبي طويلاً كما قامى اهل هذه البلاد . والبرتوغاليون لكونهم بعيدين في الغرب قاسوا من هذا القليل اقل من الاسبانيين . والاسبان حتى اليوم يخاطبون الواحد الآخر بقولهم كابالارو اي يا فارس . وذلك الجهاد العنيف افضى الى التعصب والصرامة في الدين وقد تجسم ذلك في نظام ديوان التفتيش

وفي سنة ١٤٩٢ اتحد فردينند وايزبلا وقهرا العرب في غرناطة . ومن معسكر غرناطة تزود كولومبوس بمساعدة الملكة ايزابل وركب من الاطلانتيك لاكتشاف العالم الجديد . فللاسبانيين والبرتوغاليين حق الفخر العظيم بالاكتشافات الخطيرة الشأن التي حدثت في ذلك الجيل

ولا يخفى ان الغزوات العديدة انتابت شبه الجزيرة . فعلى هذه البلاد تعاقبت أمم مختلفة - فينيقيون وقرطاجنيون ورومان وقنطاليون وسويشيون وقوت ويهود ومغاربة وعرب . ومن كل ذلك نشأ شكل شرقي جميل الطامة رضي الخلق واللاستوريين Asturian حق الافتخار فان جبالهم الشامخة كانت العقبة الوحيدة التي عجز العرب عن ارتقاها . وكهف كوفادونغا الذي ابتداء منه الهجوم على العرب لم يزل مقدساً . ومنذ سنة ١٣٨٨ كان لقب ولي عهد اسبانيا « اميراستوريا » وبعد التتويج يلقب الملك كونت كوفادونغا

وفي قوم جهات كيتالونيا ترى غالباً العيون الزرقاء والشعور المرسلة والوجوه الواضحة وملامح الاسلاف القوتين . ولغتهم تختلف قليلاً عن اللغة الاسبانية . واذا طفت كاتالونيا وجدتها بلاد الصناعة المنظمة . وقوة التفنن الصناعية الغريزية في الكاتالانيين جعلت برشلونة بالرغم من العقبات الطبيعية مدينة عظيمة تشتمل على ٦٣٠ الف نسمة وهي عاصمة اسبانيا الصناعية والتجارية . وهم قوم ذوو روح ثورية تقاوم في الحال كل روح رجعية

وقوم الكاسيتلان يشغلون البلاد الواقعة حول العاصمة ولغتهم الاسبانية الصرفة وهي لغة العلوم والآداب . وهم شعب أنوف متأدب محب للفنون . الاميرال الكبير

سرفيرا كاستيلاني. كذلك سرفنتس ولوب ده فيجا وفيلاسك وموريلو وهم من كبار أدباء الأسبان والفنيين

وسكان الجزر الباليارية Balearic الباليون نحو ٣٢٠ ألفاً كلهم اسبانيون .
والعرب الذين احتلوا هذه الجزر نحو ٤٠٠ سنة تركوا فيها آثاراً ظاهرة في العادات
واللغة . وقد اشترك الاسبان والبرتوغاليون في استعمار معظم العالم الجديد أي بلاد
المكسيك واميركا الوسطى وجنوبي اميركا
والبرازيل التي تشغل نصف مساحة هذه البلاد المشار إليها برتوغالية . أما البلاد
الباقية فاسبانية

فرنسا

للشعب الفرنسي شخضية متميزة يفوق بها كل شعب أوروبي . وبعض السبب
في ذلك تاريخ تكون هذا الشعب وبهذه تفرد البلاد التي يقطنها في طبيعة موقعها .
فالفرنساويون سلالة عنصر الفلت الاصلي وقد تطرق اليهم العنصر اللاتيني الاغريقي ثم
العنصر التيوتوني . وهذه العناصر الثلاثة لم تمزج في شعب مثل امتزاجها في هذا
الشعب فقد جمع بين محاسنها جميعاً

ان فرنسا بموقعها الطبيعي صلة بين اواسط اوربا وجنوبها وبين البحر المتوسط
والاتلانتيك . وهذا هو سر انها مركز الحركة التجارية والفكرية في العالم . وما من
فكر عظيم شغل العالم الا كان مصدره من فرنسا او أنه مر فيها

ليس كل الفرنسيين يتكلمون الفرنسية . ففي اقاصي فرنسا اربع جماعات
صغيرة ليست لغتهم الفرنسية وهم ٢٠٠ الف فلمنك Flemings قرب مضيق دوفر
و ٢٠٠ الف باسك Basques في اقصى الجنوب الغربي و ٢٥٠ الف كاتالان Catalans
في جبال البرينيه الشرقية ومليون بريطاني في بريطانيا (الفرنسية) . ولكنهم كلهم
وطنيون مخلصون لفرنسا

أما البريطانيون فهم من عنصر الفلتيين Celts وكان شبه جزيرتهم يدعى أولاً
آرموريكا . وقد كان تدفق البريطانيين من بريطانيا الكبرى فراراً من وجه

الانجلوسكسون مضاعفاً لعدد السكان بل زادهم على الضعفين ومن ذلك اشتق اسمهم الحالي . ومساحة شبه الجزيرة أقل من ١٠ آلاف ميل مربع وبعض الباحثين في علم السلالات البشرية ممن يبنون احكامهم على اشكال الجماع شكوا فيما اذا كان البريطانيون الفرنسيون قلتين . على أن هناك أدلة قوية على أن هؤلاء البريطانيون قلتيون ما لم تهم بيانات أكيدة على الضد . وهم شعب ساذج محافظ متدين غير خوَّاف مستقل خيالي

ويمتاز جنوبي فرنسا من الوجهة الاثنولوجية (أي من حيث العنصرية والسلالة) بأنه لم تدخل اليه عناصر القلت واللاتين والتيوتون فقط بل تطرقت اليه عناصر المستعمرين الاليفوريين والفينيقيين فضلاً عن المغاربة والعرب من اسبانيا . ولهذا تجد في لغته كثيراً من الكلام الاعجمي فضلاً عما فيه من قساسة اللفظ ولما كانت في فرنسا لهجات مختلفة أمر فرانسيس الاول سنة ١٥١٩ بأن تكون اللغة الباريسية التي أصبحت لذلك العهد لغة الجمهور هي لغة البلاد الرسمية . ولما كانت هذه اللغة مرنة ورفيعة تطاوع كل تمييز جميل لطيف اخذت مقامها الشريف عاجلاً واصبحت اللغة الدولية الرسمية

يقال « ان اللغة الفرنسية عمت الشعب الفرنسي » والاصح ان كلا منهما عمل الآخر وجاهدا في سبيل النجاح جنباً الى جنب

لند برز الافرنسي في العلم والادب على جميع الامم . فلا تخطر لك علومهم وآدابهم الا وجدتها لا تضاهي . ويكفيهم فخراً أمثال باستور ولاقوازيه وكوفييه وبيشاه وفولتير وروسو وروزه بونار وهولير وراسين وكورناني وفكتور هوغو وبالزاك وأمير

كتب مرة شاعر غير فرنساوي : « ان فرنسا جندي الله » أجل مضى على فرنسا نحو ١٤ قرناً وهي تعمل وتحارب وتنتصر لاجل العالم . ففي ارضها وبرجالها على الاكثر حوربت معركة شالون الفاصلة (سنة ٤٥١) التي كسرت شوكة الهونيين Huns ، ومعركة تورس (٧٣٢) التي هزمت العرب ، ومعركة قالمي (١٧٦٢) التي بدأت عهداً جديداً في تاريخ العالم ، ومعركتنا المارن (١٩١٤ و ١٩١٨) اللتان سحقتا عدواً عنيداً لدوداً كان أشد خطراً من الشعوب البربرية ان الانسانية ستظل مدينة لفرنسا الى نهاية العالم

البلجيكيون

يبتدىء تاريخ بلجيكا كمملكة منذ سنة ١٨٣٠ حينما تارت الولايات البلجيكية الكاثوليكية وابت الاتحاد مع مملكة هولندا

اما بلجيا Belgæ القديمة فكانت تشتمل على كل بلاد الغال Gaul من شمالي نهر السين وغربي الرين . فان ريمس وصواصون واميان وبوقيه خلدت اسماء قبائل رامي Remi وصواصيون Suessiones وامبياني Ambiani وييلوقاسي Bellovaci - وهي القبائل الحربية التي كانت تقطن تلك البلاد والتي حاربت قيصر

اما البلجيكيون اليوم فمصران : الوالون Walloons والفلمنك Flemings

اما الوالون (واللفظ تيوتوني معناه « الاجنبي ») فيقطنون جنوبي بلجيكا حيث توجد لياج ونامور على نهر الموز . وهم أيضاً في القسم الشمالي من فرنسا في مدن ليل ودواي وكامبراي وقالانسيان وفي بعض قرى الرين . وهم يتكلمون الافرنسية ويتصلون شديد الاتصال بفرنسا

والفلمنك اكثر عدداً جداً من اولئك ويشغلون القسم الاكبر من المملكة وجانباً من شاطئ فرنسا الشمالي وذاكر ك . وهم يتكلمون اللغة الفلمنكية وهي نوع من الالمانية . اصلهم جرمان . ومع ذلك فهم غيورون على وطنهم ويضارعون الوالون في الشجاعة والغيرة الوطنية . وفي الحرب الاخيرة لجأ الالمان الى كل وسيلة لكي يفصلوهم عن الوالون

في سنة ١٩١٠ كان عدد البلجيكيين ٧ ٥٧١ ٠٠٠ منهم ٣ ٢٢١ ٠٠٠ يتكلمون الفلمنكية و ٢ ٨٣٣ ٠٠٠ يتكلمون الفرنسية و ٨٧١ ٠٠٠ يتكلمون اللغتين معاً . وفي أول الامر عارضت الحكومة البلجيكية في استعمال لغة الفلمنك كلغة رسمية ولكن في سنة ١٨٧٨ جعلت مساوية للفرنساوية في المحاكم والدواوين وفي سنة ١٨٨٣ في المدارس ايضاً

الحرية الدينية مطلقة تماماً والاكثرية كاثوليك ومنذ سنة ١٨٩١ لم يعد يسأل في الاحصاء عن العقيدة الدينية او عن الوظيفة

وقد كانت مساحة هذه المملكة في بدء الحرب العظمى الأخيرة ١١ ٣٧٣ ميلاً مربعاً . وبعث مؤتمر الدول العظمى سنة ١٨٣١ هو الذي عين الحدود بين بلجيكا وهولندا . ومع ان الاحوال قضت اذ ذاك بالاعتراف باستقلال بلجيكا فان المؤتمر لم يعطف على البلجيكيين المطالبين بالاستقلال . ولهذا لم يكن خط الحدود من مصلحة البلجيكيين . فقد ضم الى هولندا شرقي الموز اناس ميالون جداً الى بلجيكا . وكذلك كلتا ضفتي نهر الشلدات فصلتا عن بلجيكا حتى لم يعد الوصول بحراً الى انقرس (انتورب) الا في المياه الهولندية

منذ ١٦ سنة كتب هتشنسون في كتابه « سلائل أوروبا الحديثة » : « ان الشجاعة والذكاء والنشاط حية في البلجيكيين الى الابد . فهم متفوقون في فن السلم كما كانوا محنكين في فن الحرب . وهم الان نموذج محسوس للرقى والمسألة والرخاء » . ولا يزال المزيقان الاوليان (الرقي والمسألة) تهويان في هذا الشعب . واما المزية الأخيرة فعلى أوروبا وأميركا ان تردها له

سلاسل الجزر البريطانية

١ - الارلنديون

ان لفظة أيريش مشتقة من لفظة أرين Brin وهي الان كما كانت قديماً اللفظة الشعرية لايرلند Ireland

ولاصل الارلنديين اساطير خرافية كثيرة ولا يعرف عنهم شيء اكيد قبل القرن الخامس . فقد خرجوا اذ ذاك من تحت سيادة الميليزيين Milesians الذين لا يعلم احد من أين أتوا وانما كانوا مستولين زمناً طويلاً على القسم الاكبر من جزيرة ايرلند

الارلنديون كالكوتلانديين الغالين Gaelic Scotch وسكان جزيرة مان متسلسلون من الفرع الغالي Gaelic او جودليك Goidelic من العيلة الغلتية . والعنصر الغلتي هو العنصر الثابت في المزاج الارلندي كما انه العنصر السائد في التاريخ الارلندي . ومع ذلك فان الشعب الارلندي مزيج من عناصر مختلفة والشعوب

التي هي أكثر امتزاجاً منه قليلة العدد . فقد اندمج فيهم انكليز وسكوتلانديون وويلسيون ودنمركيون ونرويجيون وفرنساويون . ثم ان الحروب المفضية والمهاجرة القهرية وتجنيد اكثر من ٤٠٠ . ٠٠٠ في جيوش اوربا في خلال ٦٠ سنة - كل ذلك اختزل عدد السكان اختزالاً كبيراً . ودخول كثير من الاجانب المستعمرين الى البلاد زعزع توازن الحياة القومية فيها

وبالرغم من تشرب الارلنديين دماء جميع العناصر التي امتزجت بهم واندغمت فيهم واقتباس لغات الفاتحين بقوا عنصرأ قلتياً محافظاً على جوهر عاداته واخلاقه ان في طبيعة الارلنديين ما يجذب الاجنبي الذي يقم في ظهرانهم ويطبعة بطباعهم . ففي اثناء القرون الاربعة الاولى بعد فتح انكلترا لتلك الجزيرة كان الانكليز الذين نزحوا اليها من اعيان او عامة قد تخلقوا باخلاق الارلنديين واقتبسوا عاداتهم بل كانوا يصوغون اسماءهم الانكليزية صيغة ارلندية : فكثير من الاسماء الارلندية اذا حللتها وجدتها ذات اصل انكليزي

وكان الارلنديون دائماً متدينين وبقيت بلادهم ستة قرون تدعى جزيرة القديسين . فقيما كانت البلاد المصبوغة بالصبغة اللاتينية تتقهقر الى الوثنية والبربرية كان الارلنديون يؤسسون المدارس ويبنون البعثات الدينية الى سكوتلاند وانجلند وويلس وسائر اوربا . والقديس بريك الذي نشر النصرانية في ايرلند انشأ في ارماغ مدرسة كانت تشتمل على ٧٠٠٠ طالب . والقديس كولومبا انشأ في المدارس الرهبانية تعليماً مسيحياً كان يتلقاه جمهور من الفتيان الاجانب وينشرونه في البلاد الاخرى القليلة الحظ من التعليم فكان نوراً لهم منبعثاً من الغرب . والمسيحيون الارلنديون شديداً التعلق بالكنيسة . ولو بقي الانكليز كاثوليكاً أو لو قبل الارلنديون البروتستنتية لفترت حرارة الخلاف بين الشعبين ولو بهض الفتور . ثم ان استيطان الانكليز والسكوتلانديين في الزاوية الشمالية الشرقية من ايرلند (الصتر) زاد شدة الخلاف بين الفريقين توسعاً

في ارلندا ٣ ٢٤٣ ٠٠٠ كاثوليك وهم ٣ ارباع السكان . والبروتستانت الباقون يزيدون على المليون . أما مساحة ايرلندا فتحوا ٣٢ ٥٨٦ ميلاً مربعاً في سنة ١٨٠١ كان عدد السكان اكثر من الآن نحو مليون . وقد أحصى

عدد سكان أيرلندا احصاء دقيقاً جداً بعد صدور الأمر بإندماج أيرلندا بالملك المتحدة البريطانية (وهو قانون الاتحاد) بشية تقرير عدد النواب في مجلس الأمة بنسبة عدد السكان . ولما تقرر عدد النواب جعل رسمياً عدداً ثابتاً دائماً . ذلك لان الحكومة رامت أن يثق الأيرلنديون ان عدد نوابهم في المجلس ليس أقل مما يحق لهم ولكن من الجهة الاخرى كانت تروم ألا يزداد عدد نوابهم بزيادة عددهم وهم أكثر خصباً وافر مواليد من غيرهم . على ان الواقع الآن مخالف الحسبان فان عدد الأيرلنديين نقص بدل أن يزيد وأصبح لكل ٤٢ ألف أيرلندي نائب في المجلس في حين أن لكل ٧٠ ألف إنكليزي نائباً . وسكوتلاندا التي يزيد عدد سكانها بضع مئات الألوف لها الآن من النواب قدر ثلثي عدد النواب الأيرلنديين

وللأيرلنديين عصبية للدم لم يكن مثلها عند القلتين القدماء . فانهم أشد الأمم القلتية تعلقاً ببني جنسهم مهما تفرقوا وبعدوا عن وطنهم وهم كاسلافهم جسورون كرماء الاخلاق امناء عطوفون انيسون يحبون الشعر والغناء . وما من سلالة غير هذه السلالة القلتية اختارت آلة موسيقية شعاراً لها

٢ - الويلسيون

كان الويلسيون سابقاً يملكون الشواطئ الغربية في بريطانيا من فم نهر السفرون الى الشمال على مدى ٣٠٠ ميل . وهم الان يتيمون على الغالب في عمالة ويلس . ومع انهم اندمجوا مع شعب يفوقهم عدداً فلا يزالون ذوي شأن خاص بهم وبارغم من نهضة العلوم والاداب الويلسية في القرنين الثامن والتاسع عشر لا تزال اللغة الويلسية تفسح السبيل للغة الانكليزية . ففي سنة ١٩١١ كان ٤ اعشار المليونين الويلسيين فقط يتكلمون لغتهم القلتية . مع انه كان يتكلمها منذ ٣٠ سنة نحو ٧ اعشارهم

وقد عرف الويلسيون الغزوات الاجنبية واشكال المقاومة كما عرفوا وجوه النصر والحزلان من حين الى آخر منذ ايام الرومان الى سنة ١٢٧٧ حين خضع زعيمهم لولين لادوارد الاول . ومن ثم جعل ولي العهد يلقب بفرنس اوف ويلس . وحفيد اوين تيودور الويلسي صار ملكاً إنكليزاً باسم هنري السابع واسس الدولة النيودورية

وعلى اثر ذلك اندمجت ويلس بانكلترا واصبح شعبها متمتعاً بجميع الحقوق الانكليزية والويلسيون ورثوا جميع المزايا السامية التي كانت لاسلافهم القدماء . فهم ديموقراطيون جديون في اعمالهم ثابتون الى حد العناد حريصون على التعليم والترية ، متدينون جداً ، ولا يتساهلون في الدفاع عن حقوقهم . وقد انجباوا للعالم من الرجال العظماء توماس جفرسون في الولايات المتحدة الاميركية ولويد جورج وزير انكلترا

٣ - السكوتلانديون

لا يعرف شيء عن أصل البكتس Piets سكان سكوتلاند الاصليين الذين كانوا اعد خصوم الرومان الا من قبيل التخمين . ولما وصل السكوتلانديون ، وهم شعب ارلندي قاتي ، الى البلاد وجدوا البكتس فيها . وكان ذلك القطر يسمى حينئذ هيرنيا فلما احتله السكوتس Scots أي السكوتلانديون اطلق عليه اسمهم . ونقل اسم هيرنيا الى سكوتيا Scotia التي كانت تسمى ايرلاند من القرن الثالث الى العاشر . وهكذا تبادل الاسمان تبادلاً غريباً في بابه

واتحد السكوتس والبكتس في الاغارة على البريطانيين . فاستغاث هؤلاء بالنورثمن Northmen واستنجدوا بهم فاندفعت زمر من النورثمن (نورمان) الى انكلترا واستوطنتها . ومن ثم نشأ قطران باسم انجلاند (انجلترا) الواحد ينطبق على انجلترا الحالية الى نهر الهمبر . والآخر يقع شمالي الهمبر ويمتد الى ما وراء نهر التويد . وكانت المملكة الشمالية موالية دائماً لملوك البكتس

وقد تنصر السكان قديماً منذ عهد البكتس عن يد الرهبان المرسلين الايرلنديين الذين لم يعترفوا بسلطة رومة . وهكذا توطد فيهم استقلالهم الديني . ومع ان بعضهم فيما بعد دخلوا في الكنيسة الكاثوليكية فما تغيرت هذه الروح الاستقلالية فيهم لا في الكاثوليك منهم ولا في البروتستانت

السكوتلانديون الجليليون استغرقوا فيهم البكتس ولكنهم انضكوا وضعفوا بسبب غزوات النورثمن الذين دفعوهم الى داخلية البلاد وحلوا جميع الشواطىء . وقطنوا ايضاً جزر شتلاند واوركنيس وهبريد

والفرق البين بين البلاد الغالية والبلاد الواطئة في سكوتلاند جعل فرقاً ايضاً في

حياة الأهلين فإن بين سكان القسمين اختلافاً في السلالة واللغة وهذا الاختلاف أفضى إلى التمايز بين الفريقين . ومع أن كليهما سكوتلاندي نفور بالأجداد وبالشعور الوطني فالجلييون يتغلب فيهم العنصر القلتي والواطيون يتغلب فيهم العنصر الانكليزي على أن تغلب اللغة الانكليزية ونجاحها فيهم مما يقرب بينهم . فالذين يتكلمون اللغة الغالية الآن لا يبلغون جزءاً من عشرين منهم . والذين يتكلمونها وحدها ولا يتكلمون غيرها يبلغون جزءاً من عشرين من ذلك الجزء العشري . وفي كل جزر شتلاند وأوركني ١٢٠ شخصاً فقط يتكلمون الغالية . وأما في جزر هبريد التي يتناقص عدد سكانها فاللغة الغالية لا تزال متغلبة

السكوتلانديون على العموم مقتصدون حذرون يقظون وما من شعب مثلم عاقل كريم يلي الواجب حتى ولو قضى بالتضحية بالحياة أو بالمال أو بالمركز وقد شغل السكوتلانديون المكنات السامية في ميدان الرقي . فمنهم واترسكوت وكارليل وهيوم وجون لو كس وروبرت لويس ستفنسون واسكندر جراهم بل ووط وروبرت برنز وجلادستون وبلفور وبريس وهاليج وبتي

٤ - الانكليز

يقال إن الالفاظ العربية المدججة في معجم اللغة الانكليزية كالجبر والكيمياء والقهوة والكبحل الخ كانت (على قلتها) أشد تأثيراً فيها من الالفاظ القلتية . ومع ذلك فإن لفظي بريطانيا وبريطاني اتا من الاسم الذي سمي به القلتيون هذه الجزيرة . ثم إن أسماء الآكام والانهر في انكلترا والأسماء المنتهية بهذه المقاطع ford - ومعناه عابر أو قاطع و tor - أو don - ومعناه حقل و ham - ومعناه بيت أو منزل كلها قلتية الأصل . وفي غير ذلك يندر وجود الفاظ قلتية في اللغة الانكليزية وأندر من هذا وجود العنصر القلتي في الدم الانكليزي . وأن لمن الغريب الداهش أن تخلو إنجلترا الآن من السلالة البريطانية الأصلية (القلتية) التي وقعت تحت نجاد الرومان وبحسب نص التاريخ السكسوني في سنة ٨٠٠ أصدر اجبرت ، أول ملك للبلاد بعد اتحادها الأول ، مرسوماً ملكياً أمر فيه أن تسمى البلاد منذ ذلك الحين إنجلترا أو إنجلترا . ثم مر على البلاد ٢٥٠ سنة توالت اليها الغزوات وظهر فيها من الأسماء الجيدة الفرد السكسوني وكانوت الداني

وما امتزج الشعب الانكليزي والشعب النورماني الفاتح واتحدا في شعب واحد حتى بعد حرب المئة سنة وتمت حلت اللغة الانكليزية محل اللغة النورمانية الفرنسية في المحاكم والقوانين

بعد ذلك تدفقت جمهير المهاجرين (كالفارين من هولاندا والهوجونوط من فرنسا) فزادوا قوة انجند الصناعة ولكنهم لم يفسدوا النسل ولا كيفوا اخلاقه . وقد شاع التعبير على الانكليز بلفظ الانجلوسكسون وهو تعبير خطأ ومضلل . أجل ان كل الانجلوسكسون انكليز ولا يعكس أي انه ليس كل انجليزي انجلوسكسونياً . والعمل الاساسي الذي عمله عنصر السكسون هو احتلال بريطانيا العظمى واقعامها سكاناً فهو الذي جهزها بكتلة أساسية من شعب شديد خزوم صبور أضيفت اليها عناصر مختلفة فيما بعد

فالأعمال التي لا تضارع في البر والبحر وإنشاء الامبراطورية العظمى التي تعد الامبراطورية الرومانية صغيرة الى جنبها ، وابتداء « اللامحة العظمى » Magna Charta وتطورها ، وإنشاء حكومة دستورية - كل ذلك لم يكن ثمرة قبيلة أو سلالة واحدة بل كان ثمرة عدة عناصر متمزجة وقد تجسمت فيها هذه الروح العظيمة . وقد وجد فرنساوي مجيد المفتاح لاخلق الانكليزي في كلمة واحدة وهي « الاعتماد على النفس »

ويتكلم اللغة الانكليزية نحو ٢٠٠ مليون شخص وهؤلاء المتكلمون بها هم اكثر الشعوب عملاً واغناهم ثروة وما من لغة حتى في الصين والهند لها نصف هذا العدد من المتكلمين

فهرس الكتاب

صفحة	صفحة
٣٨ تشيكوسلوفاكيا	٣ المقدمة
التشيك . المورافيون	٥ تمهيد
٤٢ الروثينيون	اوربا واسمها . سر تقدم الشعوب الاوربية .
٤٣ المجريون	اجناس اوربا
٤٤ البولنديون	١١ سلالات البلاد الروسية
٤٧ اليهود	الروسيون السكار . الاوكرانيون أو
٤٨ النور أو الفجر	الروسيون الصغار . الروسيون البيض .
٤٩ الجرمان - الالمان	القوزاق
السكسونيون . البافاريون . البروسيون .	١٥ سلالات الايلات البلطيقية
القبائل السلافية في جرمانيا	الاستونيون . الليتونيون . اللتوانيون
٥٤ السكندينافيون	١٨ الفينو اجريان
٥٥ الدتش أو الهولنديون	الفنيون أو الفنلنديون . قوم اللاب
٥٦ السويديون	٢٠ شعوب القوقاس
٥٧ الطليان	الارمن . التتر الاتراك
٥٩ المالمطيون	٢٣ الرومانيون
٦٠ سلالات شبه جزيرة ايبيريا	٢٥ سلالات شبه جزيرة البلقان
البرتغاليون . الاسبانيون	الاتراك العثمانيون . الالبانيون . الاغريق .
٦٣ فرنسا	البلغاريون . السربيون . الجبلليون
٦٥ البلجيكيون	٣٥ يوغوسلافيا
٦٦ سلالات الجزر البريطانية	البوسنيون . الهلفاتيون . السكرواتيون .
الارنديون . الويلسيون . السكوتلانديون	الدلماتيون . السلوفينيون أو الوند . السلافونيون
الانكليز	